www.riwaya.ga

روايات مصرية

4

ميتافيزيقا

شقة مسكونة

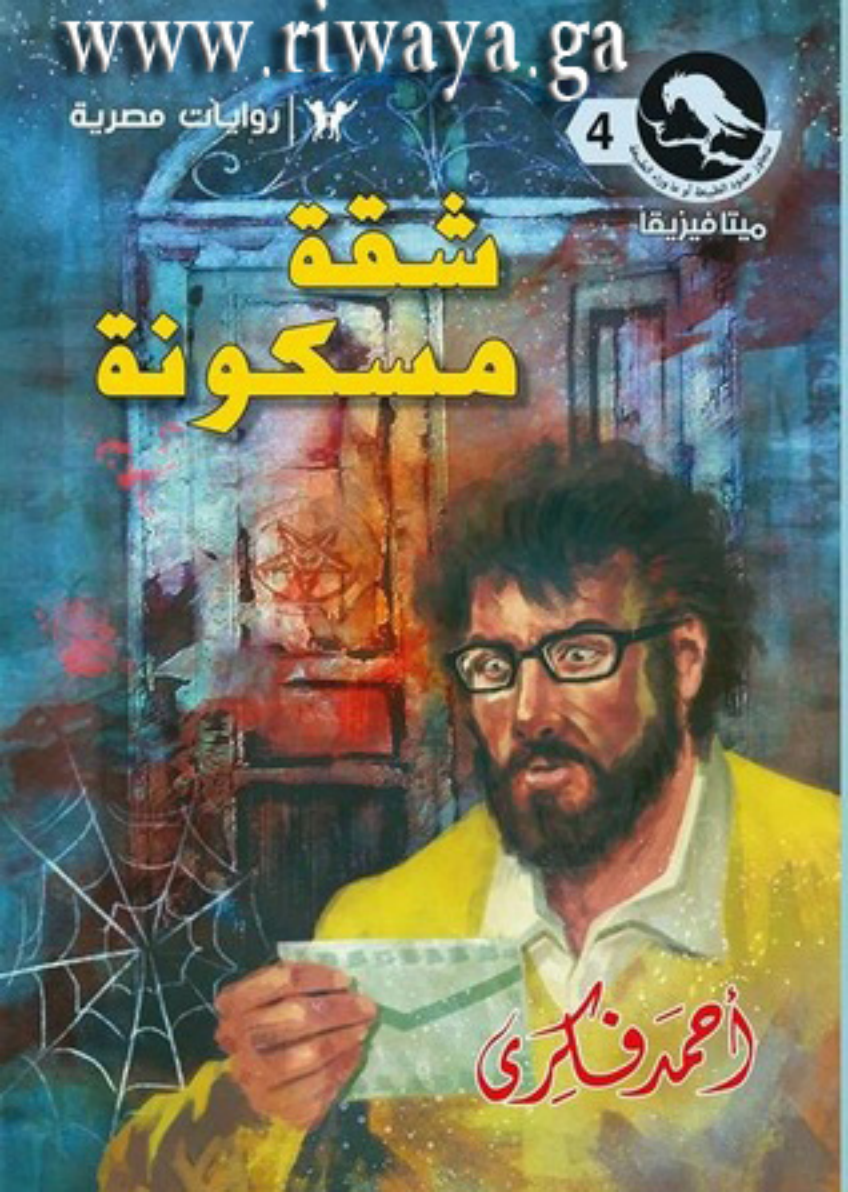

أحمد فكري

مقدمة

ميتافيزيقا . . .

مصطلح يعنى الأشياء التى لا تخضع لقوانين الطبيعة ، أو يمكن التعبير عنها مجازيًا ، بأنها الأشياء التى تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة . وقد أتت الكلمة من الكلمتين اليونانيتين (μετά) ومعناها (ميتا : ما وراء أو بعد) و (φυσικά) وتعنى (فيزكا : مادى أو طبيعى) .

www.riwaya.ga

* * *

تحذير هـام :

لا تقرأ هذه الرواية ليلاً أو بمفردك .

www.riwaya.ga

تمهيد ..

أخذ يشق طريقه وسط الأثاث البسيط متعثرًا فى بعضه وفى جلبابه المتسخ .. يقف يلهث ، ينظر إلى الخلف ، ثم يكمل ركضه إلى حيث النافذة.

يصل إليها ، يعالج مزلاجها ، وهو يتلفت كى يرى إن كان لا زال يتبعه أم لا ؟ فيرى ظله يسبقه إلى الغرفة ، يبكى كالأطفال ، ويواصل معالجة المزلاج ، ويفتح النافذة ويتسلل الضوء إلى الداخل لينير كل شىء ، فيراه !

يبادل نظرة بينه وبين الشارع البعيد ، فيختار تحطيم عظامه عن الانتظار ، يمسك بسور النافذة وبكل ثقل يحاول محاولة بائسة أن يصعد كى يلقى بنفسه منها ، لكنها بائسة كما أخبرتك من قبل .

وفى ثوانٍ كانت رأسه تطير لتستقر فى ركن الحجرة . وكان آخر ما رأته جسدًا يرتدى جلبابًا يتهاوى ليسقط على أرض الغرفة غارقًا فى الدماء فاقدًا رأسه .. ثم أغلق عينيه بعدها إلى الأبد !

www.riwaya.ga

١ البداية ..

جلس الدكتور عبد الحميد مرتديًا نظارته السميكة ، التى تشعرك أنه لا يفقه شيئًا عن تقدم الطب وعملياته ، فى شقتى ، وقد فتح أمامه كمًا لا بأس به من المراجع العلمية ، والمجلدات الضخمة ، وأخذ يدون الكثير من الملاحظات بقلم رصاص حف سنه مائة مرة ، وأخذ يخط فى كثير من القصاصات به ، ثم يدسها بين الصفحات .. الحقيقة أن ذلك الرجل ودود بحق وعالم بمعنى الكلمة ، وقد صارت بنا صلة وطيدة أيضًا بعد لعنة ساوين .

www.riwaya.ga

كنت أرشف فجانًا من القهوة وأطالع إحدى الكتب القانونية حين دق جرس الباب .

نهضت متثاقلاً من أمامه ، وفتحت الباب لأجد شابًا فراع القامة أشقر الشعر ، يبتسم فى خجل ..

وقبل أن أتفوه بكلمة واحدة دس بين ضلوعى ظرفًا كبير الحجم ، بعد أن سألنى عن اسمى ، بذات الخجل ، ثم أجاب هو أيضًا .. بأنه لا بد وأننى أستاذ (إبراهيم) ..

ناولنى المظروف ، ثم ناولنى قلمًا وورقة ، وطلب توقيعى ، فأعطيته إياه ، وانصرف شاكرًا إياى على مساعدتى الجليلة له .

الحقيقة أن مشهده قد ذكرنى بمشاهد شتى قد مرت على ، كالمشهد الخاص بخطاب الترشيح الخاص بكليتى .. وكذلك خطابات التعيين ، التى ظللت أنتظرها طوال عشرين عامًا أو يزيد !

على كلٍّ أخذت المظروف وعدت إلى داخل الشقة ، لأجد أن الدكتور (عبد الحميد) لا زال منهمكًا فيما يفعله ..

رمقنى بعيوناته ورمق المظروف فى فضول ، وأضاف دون أن يشيح وجهه عن مجلداته :

www.riwaya.ga

من البنك أظن ؟

قالها ثم هم بالنهوض ، وهو يردف :

على كل سوف أنصرف أنا الآن ، وسوف أنتظر أن تصعد لى كى نتحدث سويًا ..

قالها ، وانصرف بالفعل بعد أن لملم كل متعلقاته ، وتركنى مع ذلك المظروف ، الذى أخذته ، ودلفت به إلى الشرفة .

جلست على المقعد ، الذى وضعته خصيصًا من أجل الجلوس فى الشرفة عند الغروب .. وتناولت المظروف .

كان كبيرًا بعض الشىء ، قلبته بين راحتى ، وقرأت المكتوب على ظهره بخط أنيق ، ومتمهل كذلك ..

المرسل إليه / الأستاذ : (إبراهيم عبد المعطى) .. المحامى

المرسل / (شريف) شاكر ..

عنوان المرسل إليه / ٥١ شارع (.....) بالمقطم ..

إذًا ذلك لا يخصنى .. بل يخص شخصًا آخر اسمه (إبراهيم عبد المغنى).. لكن عنوان الشقة هو ذات العنوان الذى أقطن به ..

www.riwaya.ga

حقًا أنه لشىء محير ..

قلتها ، وشرعت أفرغ محتوياته على المنضدة الصغيرة التى استقرت أمامى ، فوجدت حافظة بها مجموعة لا بأس بها من الورق المسطر ممتلئة عن آخرها بخط منمق بقلم حبر راقٍ .

فررتها ، فسقط منها الكثير من الأوراق المنفصلة ، والمختلفة المقاسات كذلك ..

أمسكت إحداها وبدأت أقرأ :

« جدى مات مقتولاً » !

« سيليست » !!.. هذا دواء لمنع الحمل !

لقد أثارت هذه القصاصات بصدق شغفى ، لذا اعتدلت ، وفتحت الورق من بدايته ، وبدأت أقرأ .

* * *

1

نهض فاركًا عينيه ، محاولاً طرد النعاس الذى يراوده .. تثاءب واضعًا يده على فيه ..

رمق جنبات الزنزانة بعين ناعسة ، فرأى ذلك الشخص !

www.riwaya.ga

لا بد أنه وافد جديد ..

قالها فى نفسه ثم لوح له بيده ، ملقيًا التحية :

ـ صباح الخير .. أو ربما .. مساء الخير ..

قالها منتظرًا الرد ، لكنه لم يأت !

نظر إليه ، فوجده ينظر إلى الأمام نظرة خاوية .. لا روح فيها !

ـ لن يتحدث معك !

قالها آخر ، مضيفًا :

ـ إنه يرفض الحديث مع أى أحد ..

ـ صباح الخير يا ..... معمم ..... ما اسمك ؟

قالها مرة أخرى بعد أن نهض متجهًا إليه ، ثم جلس إلى جانبه ، لكن دون جدوى .....

تقدم بضع خطوات ناحيته مرة أخرى فى حذر ثم أضاف :

ـ يبدو أنها المرة الأولى لك ..

قالها ، ثم عبث فى قدمه ، مخرجًا لفافة تبغ لم يتبق منها إلا الثمالة .. يلوح له بها كى يلتقطها منه ، وهو يضيف :

ـ أتدخن ؟

لكن ، لا شىء سوى الصمت ..

يلتقط عودًا من التقاب ، ليشعل به اللفافة ، ويأخذ نفسًا عميقًا منها ، يزفره فى هواء الزنزانة فى انتعاش وتلذذ ، وهو يضيف :

ـ إن التدخين عادة يكتسبها الشخص داخل السجن .. أعلم أنك تخفى شيئًا ما ، لا تريد قوله ..

يصمت برهة ثم يضيف :

ـ حسنًا .. لم أقدم لك نفسى .. عصام .. أخوك (عصام عبد المعطى) .. رئيس الزنزانة هنا ..

أنا هنا منذ عشرة أعوام كاملة .. وأنت ؟

لا رد ..

ينظر إليه ويضيف :

ـ لقد أتوا بى إلى هنا ظلمًا وافتراء ، وربما أنت كذلك ..

قالها ، وأردف :

ـ يمكننى أن أقول لك أن معظم من هم هنا مسجونين ظلمًا ، لكن هه ..

ـ الجميع يعتبروننى أبًا لهم ، ويقصون علىّ همومهم ، ويطلبون منى ما يريدون ، لأننى كما ترى الأكبر سنًا ، لذا فأعتقد أنك لن تخسر شيئًا أن قصصت علىّ ..

يقولها بعد أن زفر دخان آخر نفس فى سيجارته ، التى ألقاها بأصبعه بعيدًا ، ثم يضيف :

ـ صدقنى .. إن لم يفدك الحديث معى فسوف تكون قد وجدت من ينصت إليك دون ملل ، وسوف يصدقك على الأقل ....

يصمت مرة أخرى ... ثم يضيف :

ـ صدقنى .. إن حديثك معى لن يكون خسارة فى كل الأحوال ....

يعبث فى ذقنه ثم يسأله مداعبًا :

ـ هل تناولت شيئًا بعد ؟.. إذن أنت مثلى فأنا لم أتناول فطورى بعد ..

يقولها ثم ينظر إلى بعض الآنية المتراصة فوق بعضها فى غير انتظام ، وغير النظيفة بالمرة ، ثم يضيف :

ـ أعلم أن الطعام الذى تعده هاهنا لن يرق لك ، لكنه طعام على كل حال .. إن لدىّ بعض شطائر الفول من .... وأردف هامسًا ، بعد أن أخرج من مكان ما بعض الشطائر الملفوفة بورق الجرائد :

ـ أن الصول (أمين) يعاملني معاملة طيبة ، ويعلم كذلك أنني برىء ، وهو من يأتي لي بكل ما أطلبه .. لكن بمقابل كذلك .. فهذا كل شيء له مقابل ..

يصمت الرجل مرة أخرى ، وينظر إليه بطرف عينيه ، ليجده لم يحرك ساكنًا .

ينتهد في استسلام ، ويضيف ، وهو يطوي ورق الجرائد الملفوف به الشطائر ، ويمنحه جانبًا :

ـ لا بأس .. لا بأس .. افعل ما شئت ..

قالها وهم أن ينصرف من أمامه .

ـ « سوف أقص عليك ما حدث !! »

هكذا أتت عبارته ... باردة ... مترددة ... قلقة ... ، لكنها أتت على كل حال .

تنفس الرجل الصعداء ، ثم نظر إليه وابتسم ، وأضاف :

ـ أخيرًا .. خيرًا فعلت .. ها .. ها أنا ذا أنصت إليك .. تحدث .. أنا أسمعك .

ـ أنا لست مجنونًا ، ثم إنني برىء !

ـ مجنون ؟!.. لا أفهم ما تقول .. قص علي تفصيلاً ..

ـ ممم ..... هه.....

، أطلق بعض الهمهمه ، ، ثم عقد ذراعيه ناظرًا إلى السقف .. فى محاولة منه لإيجاد بداية ما ، ثم تنهد طويلاً وبدأ فى السرد :

ـ اسمى (شريف) .. (شريف شاكر) ..

* * *

2

عايزنا نرجع زى زمان قول للزماااااان ارجع يازماااان

وهاتلى قلب لا داب ولا حب ولا انجرح ولا داء حرمان

صوت أم كلثوم ينبعث من المذياع الخاص بقهوة (دندراوى) .. مفعم بالكهرباء الإستاتيكية ...

الساعة الآن حوالى الواحدة بعد الظهر .

يعبث (صفوت الدندراوى) بأذنيه بفم الشيشة وهو رجل نحيل تخطى الستين ، ويضيف وهو يملأ رئتيه بدخانها :

ـ الحقّ يقال يا (حسن) .. لقد صارت الرائحة لا تطاق ، والجميع صار يشكو منها .

« تفووووو .... »

ـ وأنا أحدهم » ..

قالها وصمت برهة كأنه تذكر مأساته الشخصية ، ثم أضاف :

لكن .. إن كان على فأنا لم أعد أهتم بمثل هذه الأمور .. أو لم أعد أبالى بشىء قط .. منذ أن رحل (حسن) ابنى ـ رحمه الله ـ بذلك المرض اللعين ، الخبيث بعيد عنك .. فقد كان هو كل حياتى تقريبًا وأنت تعى هذا .

« كروووووو.. »

يأخذ نفسًا عميقًا من الشيشة ثم يزفر الدخان فى الهواء ثم .

« تفووووو .... »

يطلق رصاصة أخرى من فمه ويكمل :

ـ كل من يقطن بالمنطقة صار لا يطيق تلك الرائحة يا (حسن) .

« كروووو .... »

ـ هم أخبرونى أنهم سوف يتحدثون معك بصدد ذلك الأمر ، لكننى أخبرتهم بأننى سوف أقابلك على القهوة ، وأتحدث معك ..

يقولها فيمسك الحاج (حسن) بكوب الشاى الذى برده الهواء ، ويرشف منه رشفة ثم يقول :

ـ لقد صرت طاعنًا فى السن يا (صفوت) ولم يعد لى مقدرة على تحمل مصائب ذلك البيت ، ولن أستطيع أن أفعل شيئًا بدونهم ، ثم أردف :

ـ بينى وبينك أعلم أن الرائحة قد صارت لا تطاق ، لكن .. هه ... ما الذى بمقدورى أن أفعله ؟

قالها ثم أضاف :

ـ على كل حال هى ليست من عندى .. من الممكن أن تكون من عند أحدهم .

ـ لكن أنت مالكه يا (حسن) .. وهذه مسئولية عامة ، ثم إننى سألتهم أجمعين .. والجميع قد بحث بالفعل فى شقته ، ولم يجد شيئًا ..

ـ إذًا ربما .. المجارير ..

ـ لنبعث إذًا لصلاح السباك ، ويخبرنا هو بدلاً من أن نضرب أخماسًا فى أسداس

ـ حسنًا ، لكن عليك أنت أن تخبر السكان بأن يكونوا متواجدين ، كى يعلموا جيدًا أننى لم أتوان أو أتهاون قط ، وكذلك لم أقصر فى الأمر ، وأننى مثلى مثلهم .

ـ حسنًا .. حسنًا ، سوف أخبرهم ، لكن الميعاد ..

ـ يوم الجمعة القادم إن شاء الله ..

ـ إن شاء الله ..

« وانصرف الاثنان على موعد مع (صلاح) السباك »

* * *

3

بعد صلاة الجمعة مباشرة ..

اجتمع الكل فى شقة السيد (أمين) ، الذى يقطن بالدور الأرضى .. الذى بدوره راح ينقل ناظريه فى حنق بين ذلك الجمع ، وأحذيته التى أخذت تدهس السجادة ..

هو (أعزب) لذا فهو يحمل على عاتقه « كيفية إزالة هذه الأطنان من الأتربة » ؟

الحقيقة أن الرائحة قد تسللت إليه ، لكن بالنسبة إليه هى أقل وطأة من تنظيف هذه الشقة ..

ـ السلام عليكم ...

قالها شاب أسمر اللون يدعى (صلاح) .. على ما بدا أنه من صعيد مصر .. شعره ملفوف حول نفسه « مكتكت » .. كما يقولون ..

حضر ومعه حقيبة متهالكة تمامًا .. فاقدة ليدها اليمنى ، فربطها بالباقى منها من الناحية الأخرى ، ثم أضاف :

ـ أين المنور ؟

نظر الجمع إلى (أمين) كى يقتادهم إلى حيث هو .. فأفاق من خواطره ، ونهض ليقتاد (صلاح) وباقى الحضور إلى داخل المنور ..

وضع (صلاح) حقيبته على الأرض .. وأخذ يخرج منها بعض الأشياء، ثم أخذ يعبث هنا وهناك .. باحثًا عن عيب ما ..

« ربما كان هنالك فأر ما قاده حظه العاثر إلى داخل الماسورة ، وسدها .. أو ربما ماسورة ما قد .. ، لكن لا شيء ..

أخذ الجميع بدورهم ينظرون إليه وكأنه حاوٍ ..

ـ كل شيء تمام !

هكذا قالها وهو يلملم العدة .. ثم أضاف :

ـ أن هذه المواسير عتيقة .. لن يحدث لها شيء قط .. حتى وإن ظلت مائة عام أخرى ..

ثم تأوه قليلاً وتابع مصطنعًا :

ـ لقد صنعت في زمان كان الكل عنده ضمير يؤنبه.. زمان كانت تملؤه الذمة .. لكن الآن لا هنالك ذمة ولا ضمير ...

قاطعه الحاج (حسن) قائلاً :

ـ شكرًا لك يا (صلاح) ..

ثم ناوله بضعة جنيهات ليسد فمه .. لكنه أضاف :

ـ إنها وللحق فولاذ ..

ـ شكرًا يا (صلاح) ..

ـ أمامها مائة عام أخرى .. على الأقل ..

قالها وهو خارج الشقة .. فلم يجد سوى أن يدس النقود فى جيوبه ومن ثم يصرف ..

ـ إذا ليست المجارير هى سبب الرائحة ياحاج (حسن) ، مثلما أخبرنا الحاج (صفوت) .

قالها شخص يبدو عليه الغضب ، تناثر الشعر على رأسه فى غير انتظام ، شاربه كث .. يدعى (إبراهيم عبد المغنى) ، وهو محام ، ويقطن فى الطابق الثانى .. فأجابه (حسن) :

ـ لقد فعلنا ما بوسعنا يا أستاذ (إبراهيم) ، وأعتقد أنه لو كان هناك حل آخر ، أو إذا كان لديك حلول أخرى ، فهلا طرحتها علينا الآن ..

قالها ، ثم أضاف :

ـ فليس من الممكن أن أقتحم كل شقة وأبحث داخلها .. ثم إننى مثلك .. أريد أن أعلم ما هو مصدر تلك الرائحة المقيتة ..

ـ أعتقد أنه لا داعى لتلك العصبية يا أستاذ (إبراهيم) .. فكلنا فى سلة واحدة ..

قالها شخص آخر يدعى (عبد المنعم) وهو مدرس لغة عربية ، ويقطن بالطابق الثالث ثم أضاف :

ـ لكننى أشك فى أن الرائحة مصدرها الشقق العليا ..

صمت برهة كأنه يتذكر شيئًا ما ، ثم أردف :

ـ بالتحديد ذلك العجوز الذى يدعى .. (عزت) .. لكم أن تسألوه .. ربما أخفى شيئًا ..

قالها ثم أضاف :

ـ إنه رجل غريب الأطوار .. ودائمًا ما يجلس بمفرده ، ولا يحب أن يتحدث إلى أحد .

ـ معك كل الحق .. لم أكن أراه إلا فى المسجد .. أو ربما صدفة .. فمن الممكن أن يكون .. قد ألم به مكروه !

قالها (أمين) كرصاصة موجهة إلى الحاج (حسن) ، ثم أضاف :

ـ توفى فى شقته ، وهذه الرائحة مصدرها جثته التى أكلها الدود ؟!

نظر إليه (إبراهيم) ثم قال :

ـ إذًا لنصعد الآن جميعًا .. ونقطع الشك باليقين ..

وهكذا انطلق الجمع فى اتجاه شقة (عزت) ..

• • •

4

بعد مرورهم بشقة الحاج (حسن) بدأت الرائحة فى التزايد !!

أربع درجات أخرى و .....

ـ الرائحة قوية بالفعل !

قالها (إبراهيم) بعد أن أطلق سبة بذيئة ، فأجابه (أمين) مؤيدًا :

ـ أقطع ذراعى إن لم تكن الرائحة منبعثة من تلك الشقة بنت الـ .....

قالها ثم سد أنفه بيده وأضاف :

من المؤكد أن ذلك الكهل قد مات وتحللت جثته .. هذا هو التفسير الوحيد لتلك الرائحة ، وكذلك اختفاؤه لفترة !!

مال (صفوت) ناحية الحاج (حسن) ثم أضاف :

ـ هل تعتقد أن الرجل مات فعلًا ؟

نظر إليه (حسن) نظرة ذات معنى ، وأجابه قائلاً :

ـ وددت لو كنت أملك إجابة شافية .. لكن !!

فى هذه اللحظة كان الجمع قد وصل إلى شقة (عزت) ..

هتف (عبد المنعم) فى هستريا :

ـ هنا .. هنا .. ثم أخذ يسعل ، ويسعل . ثم يبصق ..

لم يستطع (صفوت) أن يستنشق الهواء ، خاصة وأن قلبه واهن بما يكفى لتوقفه فى أية لحظة ودون سابق إنذار ، فتراجع إلى الخلف ، ممسكًا بطرف جلبابه ، واضعًا إياه على أنفه ، كى يمنع تسرب الرائحة إلى خياشيمه .. فى حين عزم الباقون على تحطيم الباب ..

بعدما طرقوه عدة مرات .. لكن دون جدوى ..

« تاك ... تاك .... تاااك .... »

عدة ضربات لا بأس بها كانت كفيلة كى ينفتح الباب ويطمئن استسلامه ..

كح كح .. كح .. كح ...

أخذ الجميع فى السعال .. من فرط شدة الرائحة .. ثم أخذ البعض يتقدم داخل شقة (عزت) ..

ـ الرائحة عفنة ولا تطاق .. من المؤكد أنه مات ..

قالها (عبد المنعم) الذى كان قد دلف إلى الصالة محدثًا بها نفسه .. ثم ضغط على زر الإنارة ..

* * *

ما إن ضغط زر الإنارة ، حتى اتضحت الرؤى ..

ودون كلمة أخرى تصلب الجمع ، وهرول (عبد المنعم) خارج الشقة مهللًا :

قتيل .. قتيل .. الحاج (عزت) قتل .. الحاج (عزت) قتل .. الشرطة .. اطلبوا الشرطة ..

وتوارى خارج الشقة ..

أما عن الباقين فقد كانت الرؤيا قد اتضحت لهم أكثر ..

لقد كان الحاج (عزت) ملقى على الأرض محاطًا بأطنان من الديدان بلا رأس ! . بالتحديد ملقى أمام النافذة ، وسط بركة من الدماء التى تخثرت تمامًا .. وأحالت لون الأرض إلى الأسود .

تقدم (إبراهيم) المحامى ، بضع خطوات أخرى سادًا فتحتى أنفه ومشيرًا إلى رأس الحاج (عزت) التى استقرت فى ركن الغرفة !

• • •

5

ـ كنت فى تلك الفترة أقطن مع جدى فى بيت قديم يملكه ، فى حى مصر القديمة .

قالها (شريف) ثم شرد كأنه يبحث عن وصف يصفه به ، فقاطعه الرجل مازحًا :

ـ إن جدك كان من أصحاب الأملاك ..

لكن (شريف) ظل ثابتًا كما هو بذات النظرة الجدية ، لكنه انتبه لجملته فأضاف :

ـ لا .. لم يكن كذلك ، أو كما تظن .. فقد كان كله إيجارًا قديمًا .. أكثر فرد كان يدفع لجدى خمسين جنيهًا .. حتى جدى لم يكن يعتمد على إيجاره فى المعيشة ...

قاطعه الرجل مرة أخرى :

ـ فمن أين إذًا كنتم ... ؟

ـ من المعاش .. فقد كان جدى موظفًا حكوميًا فى إحدى الشركات الحكومية وأحيل إلى المعاش .

قالها (شريف) مقاطعًا وقد علم ما يدور بخلد الرجل ثم أضاف :

لقد كان جدى ينفق على بعد وفاة والدى .. حتى التحقت بكلية الطب وتخرجت فيها لأصبح طبيبًا فى إحدى المستشفيات العامة بمصر الجديدة ، لكن الراتب .. لم يكن سوى حفنة من الجنيهات .

كم كنت أتمنى معيشة غير تلك . كم تمنيت أن يكون لى عيادتى الخاصة سيارتى الخاصة ، شقتى الخاصة . فى هذه الأثناء ظهرت (نهال) وكانت كنت أنتظرها ، كنت أنتظرها كبوابة أعبر منها إلى عالم آخر غير ذلك الذى أعيش فيه .

لا أعلم كيف أصفها لك .. ذلك الجمال الحاد ، الشعر الأسود الفاحم البشرة الخمرية التى تشعرك أنك ترى كليوباترا بملابس عصرية .

من الوهلة الأولى .. تخمن أنها من عائلة ميسورة الحال جدًا .

كنت أرمقها ، حين دلفت إلى داخل المستشفى مهرولة !

أخذت تبحث عن أحد ما لتسأله ، فلم تجد سواى أنا و(مصطفى) طيب امتياز .. كادت تسأله ثم عدلت عن ذلك ، وتركته واتجهت إلى ..

وبصوت لم أسمع مثله من قبل أضافت :

ـ والدى .. أريد أن أطمئن عليه .. هنالك من أبلغنى أنه هنا .. عندكم .

كانت ضربات قلبى تتسابق مع بعضها البعض .. لذا لم أتبين ما قالت جيدًا ..

لكزنى (مصطفى) كى أنتبه لما تقول وأضاف :

ـ تريد أن تطمئن على والدها يا دكتور (شريف) .

انتبهت لما تقول ... فسألتها عن اسم والدها وكيف جاء ومتى أتى ؟

فأجابتنى ، وقد أحالت الدموع عينيها إلى جمرتين :

ـ (شوكت فهمى) .. ثم صمتت لبرهة ، وأضافت :

ـ لا أعلم ما الذى حدث بالضبط .. لقد أتتنى مكالمة هاتفية منكم .. من شخص ما بالمستشفى ، وأخبرنى أنه هنا .. وأن أحدًا قد وجده مغشى عليه داخل سيارته ، فأتى به إلى هنا ..

التقطت أنا سماعة الهاتف ، وأجريت مكالمة هاتفية علمت منها أن الرجل بالفعل داخل المستشفى .. وأنه بالعناية المركزة .. لأنه يعانى من جلطة .

وضعت السماعة ، ونظرت إليها فى شفقة .. ثم حاولت بالمنا فى معالجة الأمر :

ـ تفضلى .. وأشرت اليها إشارة ذات معنى ، أننى أريدها معى لنقف على انفراد » .. ثم بدأت أخرج كلماتى بحذر :

ـ أقترح مستشفى خاصة ..

ـ ماذا به ؟

قالتها ، وقد بدا عليها أنها علمت خطورة الحالة ، فأضفت :

لا تقلقلى خيرًا إن شاء الله ، لكننى كما قلت أقترح مستشفى خاصة ، حتى يتم عمل اللازم هناك ، لأن هنالك تجهيزات بكل تأكيد أفضل .

وافقت على الفور ، بعد أن طلبت منى مساعدتها ، ففعلت ، وتم نقله إلى المستشفى الخاص ..

تبادلت معها رقم الهاتف بداعى الاطمئنان على حالة والدها ..

ومرت الأيام وتحسن والدها ، وخرج من المستشفى .. وطلب مقابلتي لم أتردد حينها ، أخذت بعضي وانتقيت هدية لابأس بها ، وذهبت إلى حيث هو ..

* * *

كانت فيلا رائعة بحق .. أثاث راقٍ بحق .. تحف وتماثيل قد تراصت في كل ركن .

أهلاً أهلاً .. دكتور (شريف) ..

قطعت تلك الكلمات تفكيري ، فالتفت لأجد السيد (شوكت) ..

رحب بي في حرارة .. وشكرني كثيرًا على كل شيء ..

لم تمر سوى لحظات حتى أتت (نهال) ..

متألقة هي كعادتها .. جميلة كديدنها ..

صافحتني في ود .. ثم أشارت إلى كي أعود إلى مقعدي ..

جلسنا جميعًا نثرثر في كل شيء ..

لن أطيل عليك أكثر من ذلك .. وسأذهب بك مباشرة إلى أن طلبت مني في إحدى المكالمات أن نتقابل على انفراد .. »

ترددت في البداية ثم وافقت ..

* * *

6

الحق هو أننى لم أكن مهتمًا بشىء قبل معرفتى بنهال على الإطلاق .. أما عند ظهورها فى حياتى ، وقد اتخذت موضعًا وركنًا خاصًا بها فى وقت قصير نسبيًا ، لكننى كذلك كنت أعلم جيدًا أننى سوف أفقدها فى أول فرصة ممكنة ..

خاصة وأننى لن أجد الشجاعة فى مصارحتها بحبى ، أو حتى فى مقابلة والدها ، وأنا لا أملك دخلاً كبيرًا يناسبها ، أو مدخرات ..

فقد كان المستقبل حينها يمثل لى قلقًا غير عادى ، وتوترًا ملحوظًا ..

صمت (شريف) برهة ، ثم أضاف :

أما كيف تبدلت حالى فسأحكى لك ..

قالها (شريف) للرجل ، ثم أضاف :

وهكذا ذهبت إليها ملبيًا دعوتها ..

• • •

وعلى إحدى المقاعد الخاصة بإحدى الكافيهات جلسنا نتحدث مع بعضنا البعض ..

أخبرتنى حينها أنها تحبنى ، وأنها قد قاومت كثيرًا ، كى لا تعترف لى بذلك ، إلا أنها أبت إلا أن تعترف .

- هل تتزوجنى ؟!

ـ بالتأكيد ، لكن ..

ـ لا تلق لأحد بالاً ، سوف يقبلون رغماً عنهم ..

وبالفعل والحق يقال أن والدها لم يعترض بل وافق ورحب بالأمر جداً . وحددنا موعداً لكل شيء ..

وتم كل شيء كما رسمناه ..

وفى حفل صغير ، أو لنقل عائلى جلست فيه مع (نهال) ، وبعض أفراد عائلتها ، تزوجنا دون أن أخبر جدى أو أدعوه على حفل الزفاف .

بالطبع لك أن تصدق أن كل ما حدث كان دافعه الحب ، وكذلك لك أن تصدق أننى أحببتها ، وتزوجتها وأنا لا أملك شروى نقير .

صدقنى كم من شاب كان فى مثل تلك الظروف وقد أتيحت لهم فرصة مثل تلك بكل هذه البساطة .. خلال أيام معدودة تعد على أصابع اليد وجدت نفسى أجلس بمنامتى فى دارى مع زوجة حسناء وابنة رجل ثرى فكيف لى لا أحبها أو أرفض .

وهكذا تركت كل شيء ، وسافرنا إلى الخارج ، وبدأت حياة جديدة هناك ..

* * *

7

تغيرت حياتى فى لمح البصر ..

فيلا .. سيارة .. مال لا حصر له .. باختصار حياة طالما تمنيتها ..

أصبح لدى عيادتى الخاصة .. فيلا يحلم بها أى شاب فى مقتبل العمر مثلى ..

ولم يمر سوى عام حتى رزقنى الله (على) .. الذى أصبح كل شىء بالنسبة لى ، لكن لم أهنأ بكل هذا ، لأن حياتى التى تغيرت ، تغيرت معها (نهال) تمامًا إلى الأسوأ .

فليس كل ما يتمنى المرء يدركه ..

كما قلت لك فقد تبدل حالها مائة وثمانين درجة .

وبالطبع كنت أتمالك أعصابى ، وأترك لها المكان ، وأنصرف ..

أما عن (على) فقد ابتلى بمرض ما نادر ، جعلنى أنفق عليه كل ما كان لدى من أموال تخصنى ..

- ونهال .. زوجتك ؟

قالها الرجل ، فأضاف (شريف) فى أسى :

- لم تهال .. فلم تكن تر سوى نفسها فحسب ..

قالها (شريف) ثم تنهد طويلاً وأضاف :

ـ حتى بعد وفاة (على) !

ـ توفى !!.. البقاء لله يا دكتور (شريف) ..

قالها الرجل مواسيًا ثم أضاف :

ـ إن الدنيا هكذا .. لا تعطى المرء كل ما يتمناه .

ـ الحمد لله .. على كل دعنى أكمل لك ..

تبدل حالى كثيرًا بعد وفاة على .. فقد تركت لحيتى تنمو كما تشاء ، وأهملت عيادتى .. حتى الطعام لم يعد له مذاق فى فمى ..

أما (نهال) فكانت فى وادٍ آخر ..

كنت دائمًا أشعر بأنها ابتاعتنى بأموالها ، لذا لم أكن أستطيع السيطرة عليها ، حتى حدث ما حدث و .. وخانتنى !!

ـ خانتك ؟!

ـ نعم .. خانتنى ..

ـ كنت عائدًا من إحدى الملاهى الليلية ، التى أذهب اليها كى أنسى كل شىء ، حين رأيتها هى ومن معها فى فراشى !

بالطبع لم أصدق ما رأيت .. فقط أصابنى الذهول وقتها ، وتصليت فى

دانى ، وتزاحمت الأفكار فى رأسى ، ووددت أن أفعل عدة أشياء ، لكننى دلت عنها جميعًا .. خفت .

تذكرت وقتها المشهد الخاص بفيلم غروب وشروق وما حدث مع الفنان براهيم خان) عندما وجد زوجته سعاد حسنى فى فراش صديقه (رشدى نظة) ، فإذا به يمسكها ويجرها جرًا حتى يصل إلى والدها (عزمى) شا .. ويظلقها أمامه فإذا بعزمى باشا يدير له حادثة قتل .. ويقتله ..

تذكرت أنا هذا كله ، فلم أقرر سوى أن أنسحب تمامًا من هذه الحياة تاركًا ى شىء لم يكن لى منذ البداية .

فجاء قرارى بتطليقها .. حتى أحافظ على ما تبقى من حطام كرامتى .. ن ثم معه قرار طردى مما كنت فيه ..

وأخذت بعضى وحجزت على متن أول طائرة مغادرًا إلى مصر ، وعدت ، جدى ومنزله بمصر القديمة ..

* * *

8

وبفحص الشقة بالكامل تم العثور على بقايا لبعض الشموع ، وطشت قديم من النحاس !

بالإضافة إلى بعض من الورق الأصفر المتهرئ .. الذى على ما يبدو أنه قد تم استخلاصه من كتاب قديم خاص بالسحر .. لاحتوائه على الكثير من الطلاسم غير المفهومة ..

هذا بالإضافة إلى قطعة من القماش الأبيض ملوثة بالدماء !

وورق أحمر مقصوص على هيئة إنسان مكتوب عليه الكثير من الطلاسم السابق ذكرها !

كل ذلك تم إيجاده داخل الحمام الخاص بالشقة !

مما دل على أن ذلك الرجل الذى يدعى (عزت) كان يقوم ببعض أعمال السحر ..

وتم نقل الجثة إلى المشرحة ، لفحصها .. والتعرف عليها ..

وتم إغلاق الشقة بالشمع الأحمر ..

وبرفع البصمات وفحصها تم التعرف على صاحب الجثة ..

وهى لعجوز يدعى (عزت) كان فى العقد السادس من عمره ..

واستمرت التحقيقات ، مع كل من له صلة بالقتيل ، إلى أن انتهت إلى لا شيء تقريبًا وأصبح لدى الشرطة جثة يعرفون من تخص .. لكن السؤال الأهم الذى لم يجدوا له أية إجابة :

ما الدافع لقتل ذلك العجوز .. وبتلك الطريقة الشنيعة ، خاصة أن الرجل لم يكن له أى أعداء تقريبًا ؟!

لذا أغلق ملف القضية حاملاً أسئلة لا إجابة لها ..

وقيدت ضد مجهول !

وتم تمكين صاحب البيت ويدعى (حسن سليمان) من دخول الشقة ..

ما فات هو ورقة على ما تبدو من تقرير المعمل الجنائى ..

* * *

9

ـ الحاج (لطفى) صاحب محال الدهان أخبرنى بأن لديه شيخ يجيد مثل هذه الأمور .

قالها (صفوت) الدكش وهو يعبث فى إحدى أصابع قدميه ثم أضاف :

ـ وإلا فهذه الشقة ستظل كما هى إلى الأبد ، وخصوصًا بعد مجىء الشرطة والنيابة والتحقيقات ، فكل ذلك كان كفيلاً بفضح ما حدث فى الشقة .

شرد الحاج (حسن) قليلاً ثم قال :

ـ لا لن أفعل هذا .. لن ألجأ إلى تلك الخزعبلات .

ـ حسنًا .. حسنًا .. لكنك لن تجد بتلك الطريقة مستأجرًا ولا مشتريًا حتى تقوم الساعة .. صمت برهة ثم أضاف :

ـ الكل قد علم ما دار فى تلك الشقة .. ولن يقترب منها أحد .

نهض الحاج (حسن) واتجه إلى الحمام وهو يفكر فى كلام (صفوت) مليًا .

ثم خرج وهو يضيف :

ـ سوف أنتظر شهرًا آخر ، وبعدها افعل ما تراه صوابًا ..

ـ عين العقل ..

ساد الصمت المكان قليلاً فقطعه (صفوت) قائلاً :

ـ بحق .. ما أخبار حفيدك الدكتور (شريف) ؟

نظر (حسن) إليه فى حزن واضح ، ثم جلس على أقرب أريكة وأضاف :

ـ والله لا أعلم عنه شيئًا يا (صفوت) .. إن المرة الأخيرة التى ذهبت فيها كى أطمئن عليه فى المستشفى التى كان يعمل بها بمصر الجديدة أخبرونى بأنه قد تركها ، وتزوج من سيدة ثرية ، وغادر البلاد ..

ـ تزوج ، وغادر البلاد . دون أن يخبرك ؟!

قالها (صفوت) فى تعجب .

فتنهد (حسن) طويلاً ثم أضاف :

ـ نعم هذا ما حدث .. الولد الذى أضعت عمرى لأجل أن يكون سندى وما هو عليه ، الولد الذى جعلت منه طبيبًا .

نظر له (صفوت) وقال مواسيًا :

ـ أنت تعلم أنه شاب ، وتعلم أيضًا أن تصرفات هؤلاء الشباب دائمًا ما تكون طائشة ...

قاطعه (حسن) قائلاً :

ـ أعلم هذا ، لكن .. على كل حال أرجو من الله أن يوفقه للصواب .

* * *

10

من إحدى القرى الصغيرة البعيدة أتى الرجل ، بعد اتصال وإلحاح ووساطة من الأحباب .

رائحة البخور تملأ الشقة بالكامل ..

شكل الرجل يوحى بأنه دجال لا محالة ، لكنها القشة التى تعلق بها (حسن) .

ينظر (حسن) للرجل فى تشكك .. فهو لا يقتنع بهذه الأمور ، لكنها القشة كما قلت .

بعض البسملة ، والحوقلة ، ومن ثم الكثير من البخور !

يشعر (حسن) بأن الرجل نصاب بكل تأكيد ، يرتدى عباءة قصيرة وعمة ، ويدعى أنه شيخ ويفهم فى تلك الأمور .. فيقول له فى نفاد صبر :

ـ هاه .. هل وجدت شيئا عندك يا شيخ « قلة » ؟

ـ شششش ..

يلفظ بها « قلة » هذا ، ثم يشير (صفوت) بإصبعه لحسن ، وهو يضعه على فيه كى يصمت ، ويدع ذلك « القلة » كما يقول « يشوف شغله » .

ـ هل يوجد بينكما أحد غير طاهر .. إذا كان فيكم أحد جنبا فليخرج من هذا المكان .

قالها فضغط (حسن) على أسنانه ، وطمأنه من هذه الناحية .

أشعل الرجل بعض عيدان البخور ، ثم أمرهم بأن يمسكا بأيدى بعضهما البعض ، بعد أن أمرهم بتغطية جميع النوافذ بالبطاطين كى لا يتسرب الضوء إلى الداخل ، ثم أمرهم بقراءة الفاتحة وترديد كلمة « قدوس » !

حسن يقل صبره تدريجيًا ، لكنه يحافظ على رباطة جأشه .

ثم توقفا عن الترديد بعد أن سمعا طرقًا شديدًا على زجاج نوافذ الغرفة والأبواب وجميع نوافذ الشقة ، ثم بدأ « قلة » فى الارتعاد !!

ظل يرتعد ، ويتمتم ببضع كلمات .. ثم رفع رأسه ناحية (حسن) بعين بيضاء تمامًا ، وأضاف :

ـ سلم على مولانا !

* * *

11

توجس (حسن) بعد أن نظر إليه وتراجع إلى الخلف ولم يفهم معنى الكلمة . فأضاف الرجل :

إن يده تنتظر يمناك !

قالها وعاد طبيعيًا مرة أخرى ، وفى تلك اللحظة لم يتمالك (حسن) نفسه إلا وهو ينفجر صارخًا :

كفى .. كفى هراء .. خذ حاجياتك ، وتوكل على الله ، وغادر شقتى الآن.

ثم أمسك بالأشياء المبعثرة التى وضعها ، قلة ، بجانبه ، ودسها بين ضلوع ، قلة ، فى عصبية ..

تاك .. تاك .. تاك !!

وقبل أن تتفاقم المشكلة .. تناهى إلى مسامع الثلاثة دقات متفرقة على الباب !

هدأ الجميع قليلاً ، وذهب (صفوت) إلى الباب ليفتحه !

شقة للإيجار !

جاءت كلماته بسيطة هادئة واثقة وملقية حجرًا فى المياه الراكدة يصمت الجميع حتى ينصتوا أكثر .. فيكرر الرجل مرة أخرى :

علمت أن هنالك شقة بتلك البناية للإيجار .

كلمات رصينة واثقة من رجل جاوز الأربعين .. الرجل ذاته يبدو عليه الوقار الحاد ، لكن ملبسه كان غريبًا بعض الشيء فكان أقرب إلى ملابس عساكر الإفرنج !

ـ نعم تفضل ..

يقولها (صفوت) وهو يشير بيديه إلى الداخل ، ويفسح مجالاً لدخول الرجل ..

رائحته مميزه حقًا !

يقولها (صفوت) همسًا ، وهو يستنشق الهواء الممزوج برائحة الرجل.

ينظر « قالة » لحسن فى فخر ممتزج بنشوة الانتصار ، ويقول فى قرارة نفسه :

« هذا هو الدجل الذى اتهمتنى به » ، ثم يلملم حاجاته ، وينصرف فى هدوء ، وقبل أن يغلق الباب خلفه يضيف :

ـ تذكر أنك ستحتاج إلى قريبًا .. قريبًا جدًا .

ـ لم يبال الاثنان به ، فقط نظر (حسن) للرجل ، وأضاف :

ـ شاى ؟

ـ شكرًا .. لاشيء .. الشقة فحسب .

ـ قهوة ؟

ـ هل الشقة خالية الآن ؟

ـ نعم .. واضح أنك على عجلة من أمرك .. هل هى شقة للزوجية ، لكن أعتقد أنك متأخر .

لم يبدل الرجل من جلسته ، وأضاف مقاطعًا :

ـ لى شروط !

قالها وكأنه لم يستمع إلى جملة (صفوت) الأخيرة .

تبادل (حسن) و(صفوت) النظرات ، ثم أضاف (حسن) معربًا عن غرابة طلب الرجل :

ـ عذرًا ومن أخبرك أننا سنوافق على إعطائك الشقة حتى تملى علينا شروطك هذه ؟

ـ سوف تقبل على كل حال !

قالها الرجل بثقة شديدة ، ثم أضاف :

ـ متى سأتسلم الشقة ؟

نظر (صفوت) إلى (حسن) مرة أخرى نظرة ذات مغزى ، ثم قال (صفوت) فى شىء من التوتر ليحسم الأمر :

ـ عذرًا .. ما هى شروطك تلك ؟

بدل الرجل من جلسته ثم أضاف :

ـ سوف تجدونها غريبة بعض الشىء ، لكننى أريد ذلك .. وهكذا يملى شروطه .

12

الشرط الأول :

أنا لا أحب الزيارات من أى نوع .. فأنا أميل إلى الوحدة ، لذا لا أحب أن يصعد إلى أحد لأى غرض ، وبالنسبة للإيجار فسوف تجده عندك فى مبعاده ..

ماذا ؟!

قالها (حسن) فى حدة ، فأشار إليه (صفوت) أن دع الرجل يكمل ، فصمت ليستمع .

الشرط الثانى :

لا عقد بينى وبينك !

الشرط الثالث :

لا أحب الأسئلة !

فرغ الرجل من شروطه ، فتبادل الرجلان النظرات ، ثم أضاف (حسن) بعصبية ، وكاد ينهض ، لولا أن (صفوت) اتكأ بيده على كتفه فمنعه :

ماذا قلت ؟

وكأن الرجل فهم السؤال بالمعنى الحرفى للكلمة ، فأجاب :

لن أكتب معك عقدا ، لكنه تعهد شرفى بينى وبينك ..

ثم أدخل يده فى جيوب سترته ، وأخرج حفنة من الأموال كانت كافية لشراء الشقة وليس تأجيرها فحسب ، وألقاها على المنضدة ، وأضاف :

ـ هذه أجرة شهرين كاملين .. كى أبدى (حسن) نواياى !

نظر (صفوت) إلى (حسن) مرة أخرى ، وأضاف وهو يعد يده ليلتقط النقود :

ـ حسنًا حسنًا .. موافقون .

ـ هذا عهد !!

قالها الرجل مؤكدًا للمرة الأخيرة .

نظر (حسن) إلى (صفوت) فى تعجب ، فأماء له (صفوت) وهو يضيف هامسًا :

ـ سوف أتحدث معك لاحقًا ..

وهكذا لم يجد (حسن) مناصًا من القبول .

ابتسم الرجل ابتسامة واثقة ، ثم نهض شاكرًا وقبل أن ينصرف أشار بظهره للرجلين وأضاف بعد أن تغيرت ملامح وجهه تمامًا :

ـ هذا عهد ، فالحذر الحذر !!

قالها ثم انصرف ، تاركًا الرجلين مبلبلى الأفكار !!

* * *

13

جلس الرجلان شاردى الذهن برهة ...

ثم قطع ذلك الصمت (صفوت) الذى قال لحسن مازحًا :

ـ أظن أن ، قلة ، قد أجاد عمله حقًا ..

ـ لكن أنا .. أقصد .. أن ذلك الرجل لم يرحنى قط . ألم تر ملبسه ؟!

قالها (حسن) وهو لا يزال شاردًا ...

نظر له (صفوت) وبدأ يطمئنه قائلاً :

ـ أما عن ملبسه فهو حر فيه ، أما عن عدم وجود عقد بينك وبينه ، فهذا فى صالحنا ، وبينى وبينك ما يهمنا هو تلك الأموال ، وأننا قد تخلصنا من تلك الشقة أخيرًا .

ثم ابتسم فى خبث وأضاف :

ـ ولو ظهر منه شىء بمرور الأيام .. نطرده شر طردة ، وأعتقد أننا سنستفيد من إيجاره لها ، ألم تر ما معه من أموال ، لقد أعطانا حفنة من الأموال ، تكفى شهورًا . بل تكفى لشراء بيتك هذا .

تنهد (حسن) ، وهو يضيف :

ـ وهذا ما أثار ريبتى ..

على كل حال ، دع الأيام تفعل ما تشاء .

* * *

14

نهض (حسن) مذعورًا على صوت الدقات .. فرك فى عينيه ، وأدخل قدميه فى خفه وغادر الفراش ليضىء الغرفة ، ويصيخ السمع ..

تك تك تك !!

إنها قادمة من سقف شقته .. بالتحديد من شقة المستأجر الجديد .. الرجل ..

إياه ..

اسمه ؟ لا لم يذكر اسمه ..

نظر فى ساعته ليجدها الثالثة صباحًا .. أمسك بسماعة الهاتف ، وطلب رقم (صفوت) .

ودارت بينهم هذه المحادثة :

ـ ألوو .. سلام عليكم

ـ آو .. وو .. ، صوت شخص يتثاءب .. »

ـ (صفوت) معى ؟

ـ أيو .. و..ه .. مين ؟

ـ أنا (حسن) يا (صفوت) ..

ـ خيرًا يا (حسن) ؟

www.riwaya.ga

ـ لا زالت الدقات مستمرة !

ـ أى دقات ؟

ـ أفق معى يا رجل .. الدقات قد عادت مرة أخرى !

ـ حسنًا ..

ـ ما الحسن فى ذلك ، لقد أخبرتك أننى لست مطمئنًا لذلك الرجل .

ـ وماذا تريد منى الآن أن أطرده ؟

ـ نعم .. ألم يخطر ببالك أنه من الممكن أن يكون قد استأجر الشقة كى يرتكب فيها جريمة ما أو مصيبة ما ، وقد استغل عدم وجود عقد بينى وبينه ، وهذا فى صالحه فلن يمسه سوء أن فعل أى شىء بداخلها .

انتبه (صفوت) لما يقوله (حسن) ، فأفاق ، وبدا ينصت جيدًا ، ثم أضاف :

ـ إذًا ما الذى تريدنى أن أفعله الآن ؟

ـ نصعد كى نرى ما الذى يحدث داخلها أولاً .

ـ سنحطم الباب ؟

ـ بالطبع لا .. لدى نسخة من المفتاح ..

ـ حسنًا ، سوف أصعد إليك حالاً ، سوف أبدل ملابسى فحسب .

قالها (صفوت) بعد أن أضاء نور الصالة ليرى ساعة الحائط فوجد الثالثه صباحا فأضاف مترددا :

ـ لكن الوقت يبدو ...

قاطعه (حسن) ، قائلاً :

ـ هذا هو الوقت المناسب لن يرانا أحد ، فالكل نائم .

ـ حسنا سوف أصعد ..

ـ أنا منتظرك ؟

ترك .. ترك .. صوت غلق السماعة ..

* * *

15

يلتقط (حسن) الشقة جيئة وذهابًا ..

تك .. تك ..

صوت خطوات أحد يصعد الدرج ..

يهرول ناحية باب الشقة ، ويدلف إلى الخارج .. ليجد (صفوت) لا يزال يصعد .. فيضم معطفه ليقيه من البرد القادم من بئر السلم ..

وببطء وتؤدة يتقدمه إلى أعلى . ويصعد الكهلان الدرج متجهين إلى شقة الرجل ..

أخرج (حسن) المفتاح من جيوب معطفه ، وأولجه فى الباب وأداره مرتين ، فانفتح الباب ، ودلفا إلى الداخل !

همس (صفوت) فى أذن (حسن) :

- من (حسن) الحظ أن الرجل قد ترك المصباح الكهربى الخاص بالباب مضيئًا حتى نرى مكان المفتاح ..

لم يسمعه (حسن) جيدًا ، وأخذ يتقدم داخل الشقة فى ترقب وحذر ... ثم ضغط على الزر الموجود على الحائط ليضىء المكان .

عم الصمت المكان ، إلا من صوت أنفاس الرجلين ، ودقات قلبيهما ..

- ما هذا ؟!

قالها (صفوت) قاطعا الصمت فأجابه (حسن) :

ـ إن الأثاث كما هو ، منذ وفاة الحاج (عزت) رحمه الله !

ـ كيف يحيا ذلك الرجل ها هنا ؟!

ـ أعتقد أنه لا يمكث فيها ، ربما استأجرها ، كى يجعل منها مخزنًا ، أو شيء من ذلك القبيل .

ـ على كل .. لقد صعدنا لغرض واحد ، وهو تلك الدقات ؟

ـ نعم .. الدقات ، لقد نسيت أمرها تمامًا ..

وقبل أن يكمل عبارته .. بترها وقع أقدام قادم من الحمام !!

لم يجد الكهلان وقتًا للفرار ، كل ما فعلوه هو التصلب ومن ثم انتظار صاحب الخطوات !!

* * *

وقف الكهلان يرتجفان فى هلع ، ينتظران صاحب الخطوات ، لكن لا شيء لم يظهر أحد !

هدءا من روعهما ، وتنفسا الصعداء .. ولم تمر سوى ثوان حتى بدأ فى سقف الشقة يظهر دائرة من الدخان الأبيض الكثيف ، وكأن هنالك شيئًا ما يحترق !

وفجأة بدأ طرق شديد على زجاج النوافذ بأكملها !!

بالطبع لم ينتظر الكهلان أكثر من ذلك ، حتى يفرا بجلديهما إلى خارج الشقة ، ومن ثم يهرعا إلى أسفل الدرج .. وهما يبسملان ويحوقلان ، ويستعيذان بالله من الشيطان الرجيم .

* * *

16

داخل شقة (حسن) .. جلس الرجلان يتبادلان الحديث ..

ـ هذه الشقة مسكونة !!

قالها (صفوت) وهو يلهث ويقبض بيده على صدره .

جلس (حسن) الذى لم يفتر عن البسملة والاستعاذة على أقرب أريكة ليلتقط أنفاسه ، ثم أضاف :

ـ نحمد الله أننا خرجنا سالمين .

وصمت برهة ، ثم قال :

ـ وأحمد الله على أننى قد تخلصت منها كذلك ..

ـ بكل تأكيد إن ذلك الرجل لم يأت إليها ولم يمكث فيها لهذا السبب

قالها (صفوت) ثم جرع من كوب المياه ثلاثًا ، وأضاف :

ـ هل تعتقد أنه قد تركها للأبد ؟

ـ لا أعتقد ، لأنه قد أعطانى الأجرة منذ أيام ، ولو كان لاحظ شيئًا مما أعطانى إياه ..

ـ إذن لماذا لم يمكث فيها ؟!

قالها (صفوت) ، ثم أضاف فى تأسى :

ـ لكننا ارتكبنا خطأ وأنت نسيت وجعلتنى أرتكبه معك !

قالها (صفوت) ، فأضاف (حسن) بغرابة :

ـ خطأ ؟ .. ما هو ؟

ـ لقد نقضنا العهد !

* * *

قالها (حسن) ، وتناهى صوت آذان الفجر إلى مسامعهم ..

فأضاف (صفوت) ، وهو ينهض فى تثاقل :

ـ سوف أنصرف أنا الآن ، حتى أصلى الفجر ، وسوف أعود إليك ظهرًا إن شاء الله ..

قالها وأضاف :

ألن تأتى معى ؟

نهض (حسن) بدوره ، مضيفًا :

ـ اذهب أنت ، وسوف ألحق بك ..

وهكذا ترك صفوت (حسن) ، وهبط فى الدرج ، لكنه دلف إلى شقته ، وأكمل نومه إلى الصباح ، وترك (حسن) يذهب بمفرده إلى المسجد ..

* * *

خرج الحاج (حسن) إلى الطرقات . لا يوجد سوى عامود إنارة واحد ، وإضاءته الخافتة تتبدد فى الظلام ..

فأعمده الإنارة معظمها متهالكة .. لذلك الضوء ضعيف جدًا ..

سار الحاج (حسن) فى تؤدة .. ألقى السلام على (شوقى) صاحب

الحانوت ، الذى رآه يدلف إلى خارج المنزل .. « هو يعرف أن (شوقى) هذا يصلى الفجر ثم يعود ليفتح بقالته ، ويجلس بداخلها حتى العاشره مساء .. ثم يغلقها ويصعد إلى شقته التى تعلوها .

ألقى عليه السلام ، ثم أكمل طريقه نحو المسجد ..

حينئذ .. لمح ذلك النور الذى أخذ يتقدم نحوه فى جنون !

ضوء قادم من كشافين لسيارة ما !

أراد أن يلقى بنفسه يمينًا أو يسارًا ، لكن جسده لم يساعده ..

أراد أن يرتمى بنفسه على الأرض حتى يتفادى ذلك المخبول ، لكنه لم يستطع ..

فعلم أنه ....

« تراااااااااااااااااك »

اصطدمت السيارة بالحاج (حسن) ملقية إياه على جانب الطريق ، ثم فرت مسرعة !

هرول (شوقى) تجاه جسد الحاج (حسن) ، الذى تمدد غارقًا فى دمائه على إحدى جوانب الطريق ..

حاول جاهدًا أن يلتقط أية أرقام ، لكن السيارة كانت قد ابتعدت كثيرًا ..

كل ما لاحظه هو لونها الأسود ، الذى جعلها أقرب كثيرًا إلى سيارات الموتى !!

* * *

17

« عدت إلى جدى فى منزله بمصر القديمة ... لكنه كان قد توفى !!

قالها (شريف) للرجل ثم أضاف :

« وورثت المنزل ، وأصبحت كل مهمتى فى الحياة أن أتقاضى من المكان الإيجار » زهيد » كما أخبرتك ، لكننى كنت أحتاج إليه وقتها » .

كيف علمت أن جدك قد توفاه الله ؟!

قالها الرجل مستفسرًا ، فأجابه (شريف) :.

ـ (صفوت) .. (صفوت الدندراوى) رجل مسن ، جار جدى رحمه الله ، وصديقه ، وأحد القاطنين فى البناية ، قابلته وجلست معه وحكى لى عن جدى ، وأخبرنى أنه مات رحمه الله ، جراء حادث سيارة .. وأنه طالما تمنى لى حياة كريمة ، غير تلك التى كنت أحياها .. وأن جدى تحدث معه عنى كثيرًا .

ـ رحمه الله .

ـ وهكذا مرت الليالى كئيبة .. معلة ، طويلة لكنها لم تستمر هكذا ، لأنها تبدلت ، وتغيرت تغيرًا مفاجئًا .. تغيرًا يشبه النوم ، فأنت لا تدرى متى نمت ، أو كيف نمت ؟

ـ كيف ؟!

قالها الرجل وقد بدل جلسته ..

ـ منذ أن أتانى ذلك الرجل ليستأجر الشقة العلوية .. رجل تبدو عليه ملامح الوقار الحاد .. حتى رائحته كانت مميزة حقًا !

عرض على أن يستأجر الشقة الأخيرة .. مقابل إيجار ليس بهين ، لكننى وبحق لم أشعر ناحيته براحة مطلقًا .. أعتقد أن هالتينا لم تتوافقا قط .

ـ ماذا ؟

قالها الرجل ، فأدرك (شريف) أنه لا يحدث طبيبًا ، فأضاف :

لا عليك .. على كلّ لم أسترح له ، لذا أبيت .

لماذا ؟.. خاصة وأنك كنت تحتاج وقتها إلى المال ؟

قالها الرجل بشغف واضح لشريف ، الذى أضاف :

سأخبرك بالقصة من البداية ..

* * *

18

كنت أجلس حينها مع عم (صفوت) أتحدث معه بصدد تلك الشقة العلوية الخالية حين دق جرس الباب ودلف رجل وقور يبدو من ملامحه أنه ليس مصرى وجاوز الأربعين إلى الداخل وجلس على المقعد فى ثقة .. رائحته كانت مميزة كما أخبرتك .

جلست أنا إلى جوار عم (صفوت) ، الذى همس فى أذنى بأنه يعرف ذلك الرجل جيدًا ، وأنه استأجر من جدى رحمه الله تلك الشقة ، التى كنا نتحدث عنها .

أمأت له برأسى محييًا ، ثم أضفت وأنا أنظر إلى الرجل موجهًا حديثى إليه :

ـ حسنًا .. هل من الممكن أن أرى العقد ؟

ـ لا .. لأننا لم نحرر عقدًا !

قالها الرجل مجيبًا ، فأضفت أنا بتعجب :

ـ وهل هناك التزام دون عقد ؟

فأجابنى ببرود واضح :

ـ لقد كان هذا شرطًا من شروطى ، وقد قبله جدك .

ـ شروط ؟!

ـ نعم .

قالها بعد أن نظر إلى عم (صفوت) الذى تلعثم من جراء نظرته تلك ، وأضاف :

ـ نعم نعم أذكر ذلك جيدًا .. لقد اتفق معه جدك رحمه الله على ذلك .

نظرت إلى الرجل وقد « بدأ القار يلعب فى عينى » ثم أضفت :

ـ أنصت إذن إلى يا أستاذ .. أيًا كان اسمك .. أولاً لن أجعلك تصعد إلى الشقة حتى ولو كان جدى ـ رحمه الله ـ قد أبرم معك اتفاقًا بالفعل ، وإن كان فاعتبره كأن لم يكن فمن أبرمت معه الاتفاق قد ذهب بلا رجعة .. وأنا المالك الآن أفعل بها وأتصرف كما أشاء أنا ، وليس جدى .

ـ لماذا ؟

قالها الرجل ببرودته ولزوجته ، وقد بدل من جلسته ثم أضاف :

ـ سوف أعطيك ما تطلبه أيًا كان !

ـ لن أؤجرها .. وإن فعلت لن أؤجرها لك أنت تحديدًا ، هل تعلم لماذا ؟ لأننى لم أسترح لك منذ رأيتك .

قلتها له بفظاظة واضحة ، وأنا أعى تمامًا أننى فى أمس الحاجة إلى ذلك المال .. قلتها وانتظرت منه ردة فعل شنعاء ، لكنه كان باردًا كديدنه .

فقط ابتسم فى خبث واضح ثم أضاف :

ـ سوف أعطيك بدلاً منها أخرى كى تجعلها عيادة خاصة !

كدت أتراجع مشدوهًا مما قاله ، فكيف علم أننى طبيب ، وكيف علم أننى كنت أفكر فى عيادة ، فهذه الأخيرة لم أحدث بها إلا نفسى ، إلا أننى لم أفعل ، فقط صمت وحافظت على رباطة جأشى ، فأضاف هو ، مبتسمًا :

أيًا كان ما تقوله عنى وما تشعر به تجاهى فأنا لن ألومك عليه . أما عن الشقة فأنا أحتاجها بالفعل ، ومع ذلك ، لن أستطيع أن أبرم معك عقدًا ، فهناك أسباب تمنعنى .

أضفت أنا بعد أن لعلمت أعصابى :

لن أفعل ..

قتها ناهضًا ، معلنًا انتهاء المناقشة ، لكنه ظل كما هو لم يحرك ساكنًا ..

ابتسم عم (صفوت) ابتسامة صفراء ثم أضاف سائلاً إياه :

ـ لماذا هذه الشقة بالتحديد يا أستاذ ؟

تبدل لون بشرة الرجل ، وتغيرت نبرة صوته وأضاف دون أن يعير كلام (صفوت) اهتمامًا :

ـ صدقنى .. لن تفيدك فى شىء .. تخلص منها ، وسوف أعطيك ما تحتاج .

نظر لى عم (صفوت) نظرة ذات معنى وأضاف :

ـ لا مؤاخذة يا أستاذ .. هناك الكثير من الشقق الفاخرة فى منطقتنا هذه، التى تنتظر مستأجرًا لماذا تصر على هذه ؟! من الممكن أن آخذك و .

رفع الرجل عينيه ناحية عم (صفوت) وأضاف بذات النبرة :

ـ أنا أحتاجها هى !!

ـ لن أؤجرها ، هذا قرار نهائى ، ولن آخذ منك شيئًا .

هكذا كررت عبارتى ، لكن بنبرة حادة هذه المرة ..

فلم يجد الرجل مناصًا من النهوض منصرفًا ، لكنه أضاف قبل خروجه :

ـ صدقنى لن تفيدك .. لن تجلب لك سوى المتاعب !

قالها ودلف إلى الخارج ، وأغلق الباب خلفه !

* * *

18

نظر لى عم (صفوت) وأضاف بعد أن غادر الرجل الشقة :

ـ لماذا لم تؤجرها له يا بنى فأنت تحتاج إلى كل مليم الآن ؟!

قالها ثم أردف كأن هناك من يستمع إليه غيرى ، ولا يريده أن يسمع :

ـ ثم إن تلك الشقة يا بنى تسكنها الشياطين ، والعفاريت !.. لقد رأيت ذلك بعينى وقد رآه جدك رحمه الله معى ، وحينما أتت الشرطة بعد مقتل الحاج (عزت) بها .. وجدوا بداخلها الكثير من الطلاسم وكتب السحر .. صدقنى هذه الشقة مسكونة .

ابتسمت وأنا أضيف غير عابئ :

ـ لا تقلق يا عم (صفوت) .. لا يوجد شىء مثل هذا ، ثم إن ذلك الكلام يسىء لسمعة الشقة أكثر مما هى عليه .

نظر إلى وأضاف :

ـ الجان والشياطين قد ذكروا فى القرآن وفى كل الكتب السماوية ، فكيف لك أن تنكرها .

نظرت له بلا مبالاة ، وابتسمت .

* * *

بالطبع كنت أفكر فى تأجير الشقة على الرغم من حديث عم (صفوت) عن الجان وروح القتيل التى لم تغادرها ، وإن كان صحيحًا فسيأتى لها مستأجرًا يومًا من الأيام مثلما جاء ذلك الغريب .

المشكلة الحقيقية وقتها هو عدم امتلاكى لأى مال يبدل من حالتها المزرية .. فقررت عرضها كما هى ، عسى أن أجد مشتريًا عديم الذوق أو فاقدًا للبصر .. وبدأت بالفعل إنشاء إعلانات مجانية على صفحات الإنترنت .

لكن لا جدوى !!

مرت الشهور دون جدوى ، لذا قررت أن أصنع إعلانًا بنفسى أحضرت ورقة من الورق المقوى ، وخطت عليها الإعلان بخط عريض سميك يراه ضعيف النظر « شقة للإيجار أو البيع » وقررت تعليقها فى شرفة الأستاذ « ..... » لا أذكر اسمه الذى يقطن فى الطابق الثانى .

لكن الوقت كان قد تأخر ، لذا وضعتها أمامى على منضدة صغيرة ، ودلفت إلى غرفة النوم ، ومن ثم الفراش .

وضعت رأسى على الوسادة حالمًا بليلة هانئة .. حلم جميل ، لكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه .

* * *

19

دعنى أصف لك المشهد بدقة أكثر ..

الجو حينها كان باردًا حقًا ..

لذا كنت أدثر بعدد لا بأس به من البطاطين ، أو لنقل إننى كنت أدفن نفسى أسفلهم ، وكنت أرتجف رغم ذلك !

أطفأت المصباح الكهربى الصغير إلى جوارى ، فأصبحت الشقة جميعها مظلمة ..

عندها دوى صوت الدقات على باب شقتى !

شعرت بالضيق والذعر ، انتظرت حتى يدق مرة أخرى .

فربما كان أحمقًا من الذين يحبون قرع الأبواب كالأطفال .. أو ربما كان بالفعل طفلاً .

لذا جلست على الفراش ، وأضأت المصباح وانتظرت الدقة التى تجعلنى أغادر الفراش كى أفتح ، لكنها لم تأت ، لذا اعتقدت أن ذلك المزعج قد رحل ، لكن .

تاك تاك !

دوى صوت الدقات مرة أخرى !

لم أجد مناصًا تلك المرة من المغادرة .

ما إن وصلت إلى الباب حتى أضاءت نور المدخل ، ونظرت عبر الفرجة لكن الضوء كان خافتًا ، فلم يسمح لى برؤية الزائر الذى طفق ينتظر خلف الباب .

لذا فتحت الباب ليلفحنى الهواء القادم من الخارج ، لكننى لم أجد أحدًا .. لا شىء .. لا أحد بالخارج !!

استدرت ، وعاودت أدراجى إلى الفراش مرة أخرى ، لكن الدقات عادت من جديد .. لم أستجب لها تلك المرة ، وحاولت أن أنام ، ودسست رأسى تحت الوسادة ، لكنها تزايدت ، وتعالى صوتها !!

عندها اهتديت إلى أن هنالك (علقة) ساخنة تنتظر ذلك (السمج) ، فأزحت الغطاء ، ونهضت متجهًا نحو الباب مرة أخرى ، لكننى فتحته هذه المرة بعصبية شديدة ، ومنذرًا كذلك بالويل !!

لكن لا شىء .. لا أحد على الإطلاق ، لا شىء سوى الهواء البارد الذى يتخلل بلر السلم .

تقدمت خطوتين إلى الأمام ، ونظرت إلى أعلى ثم أسفل ، لكن لا شىء لا أثر لأحد على الإطلاق !

دلفت إلى الداخل ، وصفعت الباب .. التقط زجاجة مياه وجرعت كوبًا منها ، ومن ثم عدت إلى الفراش بعد أن أطفأت النور مرة أخرى، ووضعت

الوسادة فوق رأسى حتى تقينى تلك الدقات ، لكنها وفى شىء من السلاسة وصلت مرة أخرى إلى .. حاولت تجاهلها ، لكننى لم أستطع .. لذا أعلنت عن عدم نومى تلك الليلة !

نهضت هذه المرة واتجهت ناحية الباب وأنا أقسم أن أحطم رأس من يقف خلفه ، بعد أن تناولت عصا المكنسة ، لكننى لم أجد أحدًا مرة أخرى!

كنت أجن مما يحدث ، تقدمت قليلاً فوقعت عيناى على ذلك المظروف !

* * *

صغير بعض الشىء .. أحمر قاتم ، بلا طوابع !

التقطه ، وأفرغت محتواه !

لم يكن به سوى ورقة بيضاء مطوية كتب عليها بخط منمق ..

(أنا شخص يريد أن يساعدك) !!

* * *

20

ـ وماذا فعلت فى تلك الليلة ؟

قالها الرجل لشريف ، ثم أردف :

ـ بالطبع لم تتم ليلتها ..

نظر له (شريف) ثم أكمل :

بكل تأكيد ، ظللت ساهرًا .. أرمق الظرف ، وأتساءل مائة سؤال ..

لكننى فى لحظة ما ، لا أدرى متى ، كانت قواى قد خارت ، وثقلت جفونى وغبت عن عالمنا هذا ونمت !

* * *

فى اليوم التالى ...

نهضت على صوت قرع مفتاح ، بائع الأنابيب ، لرأسى .

نظرت إلى الساعة فوجدتها الواحدة ظهرًا ..

نهضت لأحضر الورقة المقواة التى نسيت أمرها تمامًا ، وكانت الطامة الكبرى !

وجدت الحبر الذى كتبت به الليلة السابقة قد تم محوه تمامًا كأنه لم يكن !

www.riwaya.ga

* * *

ومر الباقى من ذلك اليوم طبيعى ، لكنه كما يقولون ..

« انقلب رأسًا على عقب » .. فى نهايته ، بالتحديد فى الواحدة بعد منتصف الليل فلم يرتض النوم أن يحل ضيفًا على ..

كنت ساهرًا كذئب إن كان الذئب يظل ساهرًا ، أتابع التلفاز ..

الثالثة صباحًا .. غلبنى النعاس ، وثقلت عيناى ، فأخذت بعضى وذهبت إلى الفراش ، لكن ..

تن تن تن

قبل أن أصل .. دق جرس الباب !

ذهبت وأنا أجر نفسى جرًا كى أفتح ، لكننى لم أجد أحدًا !

قررت أن هناك من سوف يعبث معى مثلما فعل الليلة الماضية ، لكن هيهات دلفت إلى الداخل وأحضرت العصا وجلست خلف الباب أنتظر ..

لا أعلم كم من الوقت قد مر وأنا على ذات الجلسة ، لأننى لا أعلم كذلك لأننى .. نمت .

« تك ... تك » ..

نهضت من على المقعد واتخذت موضعًا هجوميًا خلف الباب ، حين شرعت فى فتحه !

لكننى وكالعادة لم أجد أحدًا ..

هذه المرة توترت أعصابى ، وبدأت فى فقدانها شيئًا فشيئًا ..

بالطبع لم أطلق سبابًا ، لأنه سوف يجلب لى المزيد من التوتر .. فكرت فى الركض إلى أسفل أو إلى أعلى كى أمسك بذلك المهرج اللعين ، لكن ماذا لو انغلق باب الشقة خلفى ، فوقتها سوف أمضى ليلة سوداء على الدرج فى ذلك البرد !

بالطبع فكرت فى جلب المفاتيح ومن ثم الهبوط ، لكننى عدلت عن تلك الفكرة فلم تبد لى فكرة طيبة ..

لأن الخوف وقتها كان قد وجد طريقه إلى قلبى وشعرت بأن الأمر قد فاق مزاح الأطفال لذا مكثت فى شقتى ، منتظرًا نور الصباح .

* * *

21

تنهد (شريف) ثم أضاف :

ـ وحتى لا أطيل عليك .. فقد جاءنى المظروف الثانى بذات الطريقة وكان يحوى الآتى :

كيف حالك يا (شريف) ؟

أرجو أن تكون بخير حال .. لقد بعثت لك برسالة ، أعلم أنك ، لم تفهم منها شيئًا ، لذا بعثت لك بالتى بين يديك الآن ، أعلم أنك تقف الآن أمام باب شقتك ، ممسكًا بالعصا ، التى لم تنفعك بالأمس ..

على كل أنا بالفعل أريد أن أساعدك ، وكى تعلم أننى أصدقك القول ، اذهب إلى ذلك العنوان (٥ ش الضحاك ، بمصر القديمة) ، سوف تجد برميلًا من المعدن وسط أرض جرداء ، خذ ما بداخله ثم ارحل ، فهو لك .

لك أن تتخيل وقتها كيف كان حالى ، كدت أجن ..

دلفت إلى شقتى ، وقد بدأت التساؤلات تحتشد فى رأسى كالذباب ، دون إجابة واحدة ..

كيف علم اسمى ؟!

كيف علم أننى كنت أقف على السلم بالفعل ؟!

كيف علم أننى أحتاج إلى مال ؟!

هل كان يرانى بالفعل ؟!

ما ذلك الشىء ؟؟؟!

* * *

22

لن أخبرك بأننى قد بدأت أشك فى كل ركن فى شقتى ، وأبحث فيه ، عن أى شىء ، لكن دون جدوى !

هناك شىء تحرك فى المرآة !

لا بل لم يحدث ، وهكذا كانت أسوأ وأسود أيام حياتى ..

لكن نهار يوم جديد سوف يغسل كل ذلك ، الشىء المهم هو أن يأتى ذلك النهار .

* * *

بدلت فى الصباح ثيابى ، وعزمت على الذهاب ، إلى العنوان إياه ..

ربما تنعتنى بالجنون ، لكنى وددت الراحة ، فلقد بدأت رحلة البحث عن راحتى فلقد قدرت أن الدقات سوف تستمر إلى أن أفعل ما قد أملاه على ذلك المخبول .

* * *

كان المكان كما قال أرض جرداء أقرب إلى الخرائب ، ولحسن حظى لم يكن له خفير ، كدت أتوغل إلى الداخل ، لكننى تصلبت فى مكانى ، لأننى فى تلك اللحظة بالذات لاحظت أننى لست وحدى !

كان هناك كلاب .. بل الكثير منها ..

تصلبت فى مكانى عندما رأيتها تتيح متحفزة ومنذرة بالويل .

كدت أعاود أدراجى ، لكننى لم أفعل فماذا لو انقض على أحدهم ، وأنش أنيابه فى قدمى ، أو ربما تعثرت عند فرارى وسقطت فدق عنقى أو نش أحدهم أسنانه فى رقبتى حين ذاك .

فى تلك الأثناء ، لمحت رجلاً أسمر اللون ، يرتدى ثيابًا رثة .. بدا عل التشرد ابتسم لى فى بلاهة ، ثم أضاف :

أنت تخشى الكلاب ، وتود أن تقضى حاجتك ، أعلم هذا .

لم أجبه .. فقط أمأت برأسى موافقًا ، ومبادلاً إياه تلك الابتسامه ، فابتسم مرة أخرى ، وطفق يتوغل إلى الداخل ممسكًا إياى من معصمى كأننى طفل صغير ، عابرًا بى تلك الكلاب ، التى أخذت تزمجر دون أن تفعل شيئًا .. لم يعرها هو اهتمامًا ، كأنه يعلم جيدًا ما يفعله .

ما إن وصل بى إلى ركن ما بتلك الخرائب ، حتى وقفت ، أبادله النظرات ، فابتسم مضيفًا :

حسنًا ، اقض حاجتك ، وناد على حينما تفرغ ، حتى آتى إليك ، لأعيدك .

أجبته مرة أخرى بذات الإماءة .. فانصرف هو بعد أن ألقم كلبًا من تلك الكلاب حجرًا ففر الكلب هاربًا ، وخلفه الباقون .

* * *

انتظرت حتى غاب عن ناظرى ، واتجهت فى تؤدة إلى البرميل الوحيد الموجود .

كان صدئا للغاية ، فاقدا غطاءه .. مددت يدى داخله فى حذر وأخرجتها ، قابضا بكيس بلاستيكى أسود ، خمنت أنه مبتغاى ، لذا دسسته بين طيات ملابسى دون أن يرانى أحد ، حتى الكلاب ، لأنها فرت إلى مكان ما .. ورحت أتحسس طريقى عائدا من حيث أتيت .

* * *

23

وفى شقتى أفرغت محتواه !

خمسة آلاف أو يزيدون هو ما حواه الكيس !

قدرت أن هذا الشخص معتوه لا محالة ، أو مخبول ، فلا أحد يفعل هذا بلا مقابل .. جلست حالمًا وغير مستوعب أيضًا ..

حالما فى كيفية إنفاق ذلك المبلغ ، خاصة وأننى وقتها لم أكن أملك سوى أقل القليل ، وأمضيت من الفترات الكثير وأنا على تلك الحالة من اللقر المدقع ..

وتحول عقلى إلى قلم مشغول بكتابة ، وتخيل ما سوف أنفقه ، وكيف أنفقه ؟

وهكذا اختلفت الدقات لأيام ..

وقدرت أنها ساعة الحظ وأنه القدر الذى قرر أن يبتسم لى مرة أخرى

* * *

وكنت أنا قد أنفقت المبلغ بالكامل .. فصرت أنتظر الدقات ، لأنها تأتى بالخير كذلك ، لكنها لم تأت ، فأنت تعلم أنك حين تنتظر شيئا فهو لن يأتى بكل تأكيد .. فقترت الدقات .

- لقد صارت بالنسبة إليك مصدرًا للرزق ..

قالها الرجل فنظر له (شريف) وأضاف :

ـ بالفعل لكن ـ كما قلت ـ دون جدوى ، انتظرت وانتظرت دون جدوى ..

وبعد فترة عادت الدقات !

نهضت ملهوفًا ، شققت طريقى نحو الباب وفتحته ، وتلقيت الرسالة الثالثة !

* * *

تناولتها فى فضول ، وأغلقت الباب ، ثم دلفت إلى الصالة لأتفحصها فى الضوء الكهربى بالداخل ..

هذه المرة قد بدأ على الفور دون أية صيغة مخاطبة /

أعتقد أنك صرت تصدقنى الآن ، وتصدق أننى أريد مساعدتك .. أعلم أنك تريد تفسيرًا لما يحدث ... أو ربما تحاول أن تخمن من أنا ؟!

لكنى أنصحك بعدم التفكير ، فلن تجلب لنفسك إلا المتاعب وانشغال البال ، أنت تريد المال ، وسوف أعطيك إياه

وسوف تجده عندما تحتاجه ، لكن لى شروط ، بسيطة ، ليست صعبة على الإطلاق ، إن وافقت عليها فعلت ما أمليته عليك وإن لم تفعل ، لك أن تعتبر أن ما أخبرتك به كأن لم يكن ، وبالنسبة للمبلغ الذى أعطيتك إياه فهو بداية فحسب ..

أما عن الشروط فهى الآتى :

الشرط الأول / إلا تسألنى قط من أنا !

الشرط الثانى / ألا تبحث عن تفسير لما يحدث أو سوف يحدث .

الشرط الثالث / لا عقد بينى وبينك فهذا تعهد شرفى .

الشرط الرابع / إن أخللت بشرط من هذه الشروط ... (لا تلومن إلا نفسك)

وأخيرًا فإن كل خطوة سوف تحدث ، سوف تتم فى موضعها الذى رسمته لها أنا ... أنا فحسب .

ـ وهكذا انتهى الخطاب !

ـ هذا شيء يثير الريبة ..

قالها الرجل ثم أضاف :

ـ وهل قبلت بهذا ؟

نهض (شريف) وقطع الزنزانة جيئة وذهابًا ثم أضاف :

ـ لقد وافقت . لا أعلم كيف . لقد شعرت وقتها أننى مسير ، ولست مخيرًا ؟!

وعلى الرغم مما جلبه لى ذلك الموضوع من توتر ، فإنه قد قتل الملل الذى كنت فيه . وأنجب محله إثارة لا حدود لها فلم لا أجرب ، خاصة وأننى لن ألتزم بأى شيء مما ذكره من ذلك الهراء . فمن كتبه مخبول لا محالة .

وعلى هذا بدأت أنفق الأموال التى تأتينى على ما أريد ، ونسيت أمر بيع أو تأجير الشقة العلوية تمامًا !.

فما كنت أحتاجه من بيعها أو تأجيرها هو الأموال ، وقد جاءتنى وصرت أنفق وتأتينى بمثلها ، ومثلها .. بلا رقيب ولا عتيد ..

فقد قال لى :

« أنت تريد المال ، وسوف أعطيك إياه » .

وقد صدق ، إلا أن ماكينة الصرف تلك قد توقفت ، وتوقفت معها الأموال !

* * *

24

وعادت الحياة .. رتيبة .. مملة مرة أخرى ، حتى جاء ذلك اليوم ، الذى تم صعد إلى فيه السيد (أمين) ، ودق جرس الباب .

فتحت ، لأجده مبتسمًا ، مضيفًا وهو يناولنى مظروفًا :

ـ لقد وجدت هذا على باب الشقة !

بالطبع علمت أنه ضالتى .

تناولته منه وأضفت:

ـ شكرًا لك ، لكن لما صعدت إلى هنا ؟! .. أ .. أقصد أين وجدت هذا؟

أجابنى فى إحراج :

ـ لـ ... لقد صعدت كى أعطيك أجرة ذلك الشهر والشهر الماضى ، لأنك لم تأت لتأخذها ، و ... وهذا ليس ديدنك .

ابتسمت فى خجل ، وتناولت من يديه النقود ، ودعوته إلى الداخل كى يحتسى معى كوبًا من الشاى .. لكنه شكرنى وانصرف .

دلفت للداخل ، وجلست على أقرب أريكة وبدأت فى قراءة الرسالة ..

* * *

عزيزى (شريف) لم أتأخر عليك كما ظننت ، فقط أنا أفعل ما أريد وقتما أريد ..

أما عن الأموال ، التى تريدها ـ وأنا أعلم أنك قد أنفقت كل ما معك ،ولم يبق معك سوى القليل ـ فلك ما تريد كما أخبرتك من قبل.

لكن هذه المرة ليست كأى مرة ، فتلك المرة مختلفة بالمرة ، فسوف أبرم معك صفقة .

إن أتممتها فسوف أنقدك مبلغًا لا بأس به .

سوف تذهب إلى ذلك المكان بسيارتك ، التى ابتعتها / ٢ ش الدقاق ـ بنها ..

سوف تجد فى ذلك المظروف ، الذى لم تلق به بعد فى صندوق القمامة ، هوية شخصية لشخص يدعى (مختار البنهاوى) .. خذها وألق بها فى ذلك العنوان دون .. أن يراك أحد .. وعد بعدها إلى المكان الأول الذى تلقيت فيه أول مبلغ من المال ، وخذ ما وضعته لك .

أضاف الرجل :

ـ وهل ابتعت سيارة ؟

ابتسم (شريف) ، وأضاف :

ـ نعم فعلت .. فالأموال كثيرة ، صحيح أنها ليست فارهة ، أو آخر موديل ، لكن لا بأس بها على الإطلاق .. ما دامت تؤدى الغرض .

ـ لكن كيف علم بهذا ؟ أو من أخبره أنك ابتعت سيارة ؟!

ـ لا أعلم أو بالأحرى لم أكن أعلم ، فربما كان يراقبنى حينها .

ـ ربما !!

قالها الرجل ، ثم أضاف فى شغف واضح :

ـ أكمل يا أستاذ لقد راقت لى القصة بحق .

التقط (شريف) أنفاسه ، ثم أضاف :

ـ هذه ليست قصة أن هذا ما حدث بالفعل .

ابتسم الرجل ، ثم أضاف :

ـ نعم أعرف ، ما أقصده هو أن ما حدث لك قد أثار شغفى بحق ، وأود أن تكمل فأنا أصدق كل حرف قد قصصته على .

نظر إليه (شريف) ، ثم أضاف :

ـ أتصدقنى بالفعل ؟!

ـ نعم .

قالها الرجل فابتسم (شريف) ، وقد قرر الاسترسال :

ـ أصارحك القول .. لقد ارتجفت هلعا فى البداية ، ثم قررت أن أفعل ما طلبه .

منى ذلك المجهول .

* * *

www.riwaya.ga

25

ـ هل جننت يا رجل ؟! ألم تفكر ولو للحظة أنه يورطك فى مصيبة ؟

قالها الرجل متعجبًا ، وهو يعلم أن حديثه ذلك ، لن يجدى نفعًا كذلك ، فأجابه (شريف) :

ـ ليس جنونًا ، فقط فكرت فوجدت أنه لا خوف على من أى شىء .. مجرد عمل بسيط وبعده سأحصل على المبلغ وهذا ما أريده ، لذا فقد فعلت ما طلب منى بالحرف الواحد .. ولم يحدث شىء .. ولم تقع وقتها أية مصيبة .

فقط ذهبت إلى العنوان المكتوب وألقيت بها من تحت الباب ، وذهبت بعدها إلى الخرائب وبعدها إلى البرميل والتقطت الكيس الذى حوى المال المتفق عليه .

قال ما قال ، ثم أضاف ، وقد علم ما دار بخلد الرجل :

ـ بالطبع ارتبت فى الجيران ، لكن من يستطيع عمل ذلك أو من له مصلحة فى مساعدتى أو حتى يملك هذه الأموال ، ثم كيف سيفكر أو كيف سيصل به تفكيره إلى كل ذلك السيناريو ؟

ـ صحيح أنت على حق

قالها الرجل ثم أضاف :

ـ إنّا هو أحد من خارج المنزل و...

قاطعه (شريف) قائلاً :

ـ هذا فيه استحالة ، لأننى لا أنام إلا بعد التأكد من إغلاق البوابة الخارجية للبناية بأكملها .

أصلح الرجل من جلسته وتساءل :

ـ من هم ؟

ثم أضاف :

ـ هذا قلق الطبيعى بكثير .

ـ من تقصد بهم ؟

ـ الجيران ..

ـ هذا لا يعنينا فى شىء ، وعلى كل هم :

مم....مم (أمين) لا أعلم ماذا يعمل ، وهو يقطن بالدور الأرضى ...

أو الأول .... وأستاذ (عبد المنعم) مدرس لغة عربية فى الدور الثالث

الأستاذ (إبراهيم) المحامى فى الدور الثانى ، وقد غادر البناية ، وذهب إلى شقة بالمقطم ، ثم عم (صفوت) صديق جدى رحمه الله فى الدور الرابع ومن ثم أنا فى الدور الخامس ، والطابق الأخير فارغ !

شرد الرجل قليلاً ثم أضاف :

- بالفعل لا أحد منهم يثير الريبة ، كلهم ...مم....لا يملكون إلا قوت يومهم صمت برهة ثم أضاف :

- وهل طلب منك ذلك المجهول شىء آخر ؟

- بالطبع ..

- إذًا أكمل ؟

- سأخبرك ، لكن أعطنى زجاجة المياه هذه أولاً ..

وأشار إلى زجاجة مياه وضعت على شىء شبيه بالكومود ، لكنه ليس كذلك بجانب الرجل ! فالتقط الرجل زجاجة المياه ، وناولها إلى (شريف) . جرع (شريف) كوبين من الماء ثم مسح فيه بيمينه ، وأضاف :

- بعث لى مظروفًا آخر ، وطلب فيه منى شيئًا آخر :

عزيزى شريف هذه المرة سوف أطلب منك شيئًا آخر ..

لا تخف ، لن أقحمك فى شىء صعب أو لن تستطيع القيام به فكل ما ستقوم به سهل يسير ... لن أطيل عليك .

الموضوع بكل بساطة هو أنك سوف تذهب إلى ذلك العنوان / ٥ ش العمران بمصر القديمة ..

سوف تذهب الى ذلك العنوان ثلاثة مرات يوميًا .. فى تمام الساعة السابعة والنصف صباحًا .. ستقف عند كشك ما سوف تراه أمام البناية التى وصفتها لك فى العنوان .

سوف تذهب وتنتظر على مدار الثلاثة أيام من السابعة والنصف حتى الثامنة ... أى ستنتظر نصف ساعة ثم تنصرف !

فى اليوم الرابع ، وبعد انقضاء الأيام الثلاثة سوف تصعد تلك البناية ..

تصعد الى أن تصل الى الطابق الثالث ومن ثم تدق جرس الباب الخاص بالشقة رقم (٣) وتسأل عن شخص ما يدعى حسن ثم تنصرف . تنصرف دون كلمة أخرى. فقط لا تتحدث الى أى أحد إلا السيدة التى سوف تخرج لك ، والتزم بالمواعيد، وبعدها اذهب إلى المكان إياه وخذ مكافأتك وعد إلى بيتك ..

هذه هى مهمتك ، لكن تذكر يجب عليك مراعاة الدقة فى المواعيد.

* * *

26

ـ وبالطبع فعلت ما طلبه منك ؟

قالها الرجل وأضاف :

ـ لكن .. ماذا يقصد بكل هذا ؟ أو .....

قاطعه (شريف) قائلاً :

ـ لم أكن أعلم وقتها ، لكننى كنت ـ كما أخبرتك من قبل ـ مسيرًا ، ولست مخيرًا .

لذا ذهبت ..

ثلاثة أيام كنت أقف فيها أمام البناية أتناول المياه الغازية التى كنت أبتاعها من ذلك الكشك الذى أنتظر أمامه ، ثم أعود إلى شقتى ..

وفى اليوم الرابع كما أخبرنى صعدت إلى البناية إلى الطابق الثالث .

وكنت قد أعددت كذبة أقولها للبواب أو لأى شخص يقابلنى ، فقط أنا شخص ضل الطريق .

ـ لكنه قال لك ألا تتحدث مع أحد ..

قالها الرجل فى شغف ، فأجابه (شريف) :

ـ لكنها الضرورة حينئذ .

وهكذا صعدت إلى الطابق الثالث وقرعت الباب الخاص بالشقة التى ذكرها لى فخرجت لى سيدة !

وقفت مشدوهًا لبرهة .. متذكرًا عبارته ..

(السيدة التى ستخرج لك)

لكن سرعان ما أفقت ..

كانت سيدة جريئة المظهر ، وقفت تحدق فى ، منتظرة ما أريد .

ـ أنا أبحث عن شخص يدعى (حسن) .

قلتها ، فأضافت :

ـ عذرًا لقد انتقلت إلى هنا حديثًا فلا أعرف أحدًا على الإطلاق .

قالتها فانصرفت بدورى من أمامها دون كلمة أخرى كالمجاذيب ، وهبطت الدرج ، بعد أن أغلقت هى الباب .

وأثناء هبوطى اصطدمت بشخص بدين حاول الإمساك بى من تلابيبى ، لكننى تفلت منه ..

ـ حاول إمساكك .. لماذا ؟

قالها الرجل فأجابه (شريف) :

ـ لا أعلم .. هذا هو ما حدث ، دعنى أقص عليك ما حدث فى تلك الليلة منذ بدايتها .

كنت قد قلت لك أننى فعلت ما طلب منى بالضبط ، وبكل دقة ، وذهبت وأخذت الأموال .. وعدت إلى شقتى .

ومر بقية اليوم طبيعى جدًا ..

* * *

27

فى المساء ..

أعددت لنفسى وجبة لا بأس بها تصلح كعشاء ..

وفى الحادية عشرة والنصف غلبنى النعاس ، فذلفت إلى الفراش ، ونمت .

لم يوقظنى إلا جرس الباب مع الكثير من الطرقات !

نهضت مذعورًا ، وفتحت الباب ، لأجد عم (صفوت) يقف خلفه ، ويلهث ، ويمسك بقلبه ، ويتمتم ببضع كلمات لم أتبينها جيدًا

ـ « دمـ ....ا....ء.. سقفى ... »

هدأت من روعه ، ودعوته للدخول إلى شقتى كى يلتقط أنفاسه فذلف ، وجلس على أقرب مقعد قابله .

وجلست بدورى أمامه بعد أن أحضرت له كوبًا من الماء ..

وبدأ يقص على ما حدث معه تفصيلاً .

* * *

28

الله أكبر .. الله أكبر

ينهض الحاج (صفوت) ، وبعين لا تكاد تريان ينظر إلى ساعة الحائط .. ليجدها الخامسة صباحًا .

آذان الفجر ...

أشهد أن لا إله إلا الله

يردد خلف المؤذن .. يسير فى تؤدة عبر الطرقة .

وتنقطع الكهرباء !

لا يمقت شيئًا أكثر مما هو فيه ... فهو لا يحب الظلام

يصطدم بألف شىء وشىء .. هنالك ضوء خافت جدًا يأتى من النافذة المطلة على الشارع ، لكنه يزيد من الرهبة فهو لا يحب الظلام أيضًا .

* * *

تاااااااك !

تاااااااك !

ما هذا ؟

سمع ما سمع ، فتجمد الدم فى عروقه .. وتصلب فى مكانه ليجول ببصره حول المكان مستكشفًا مصدر الصوت !

أشهد أن محمدًا رسول الله

وبصوت مبحوح نادى على زوجته :

(انشراح) ... هو أنت ؟

« لا جواب سوى الصمت .... والظلام » !!

يشعر بظل يمر بسرعة من أمامه ، تبدأ معاناته فى التنفس ..

ضربات قلبه تتزايد ، صدره يضيق ..

من ؟ أهو أنت يا (انشراح) ؟!

أشهد أن محمدًا رسول الله

مرة أخرى يردد بصوت مبحوح :

ـ من ؟

.....

لا رد !!

مرة أخرى :

ـ « (انشراح) » ..... « (انشراح) »

لا رد !!

الظلام دامس ..

تمتد يده على الحائط نحو زر الإضاءة ... ويضغط !

لقد نسى ... أن الكهرباء منقطعة !

حى على الصلاة .. حى على الصلاة

هنا يرى الظل يقف متصلبًا !

ظل أقرب إلى .. ظل إنسان !

يتقدم بحذر ، وقلبه يكاد يتوقف تمامًا .. نحو الظل .. ويدور حوله ..

حى على الفلاح .. حى على الفلاح

لا شيء إنه ذلك العامود المسلح .. يتنفس الصعداء ..

على الضوء القادم من النافذة .. يدلف إلى الحمام ، ويفتح صنبور المياه ..

عندما يشعر ببعض قطرات الماء القادمة من السقف ، قطرات غليظة !

تسقط على رأسه ووجهه !

يمسح وجهه بالماء .. ويبدأ فى الوضوء ..

تستمر القطرات فى التساقط عليه ..

وتعود الكهرباء ..

يمسح وجهه بيده مرة أخرى ، لكن هذه المرة تتسع عيناه أكثر .. عندما تتضح له الرؤى .. ويعلم أن القادم من السقف لم يكن ماء !!

بل هو من البداية دماء !!

29

ينظر الرجل إلى السقف ، فيجده يقطر دمًا !!

الله أكبر .. الله أكبر

وقبل أن يفعل شيئًا آخر .. ينطلق خارجًا من الحمام .. ومن الشقة بأثرها .. بعد أن يصطدم بكل شيء ، ويحطم الكثير متجهًا إلى الشقة التى تعلوه ..

لا إله إلا الله .

* * *

وهكذا صعد عم (صفوت) إلى شقتى وطفق يحكى لى ما حدث .

نهضت من على المقعد ، بعد أن غادر النوم جفونى تمامًا ، ورحت أقلب كلمات الرجل فى رأسى ، ثم قلت :

... - إذا كان هنالك دماء بالفعل فى حمامك فلا بد أنها من عندى أنا

قاطعنى الرجل مضيفًا :

من عندك ؟

قالها عم (صفوت) فنهضنا ، واتجهنا إلى الحمام كى نرى ما هنالك ..

أضأت المصباح الخاص بالحمام وكانت الطامة الكبرى !!

أرضية الحمام غارقة عن آخرها فى الدماء الحمراء الطازجة !!

تراجعت قليلاً فصرخ الرجل مشيرًا بيديه على بقعة ما فى ركن السقف ، بالتحديد فوق المرحاض ، وأضاف :

ـ ها هو مصدرها . هناك ..

نظرت للسقف كى أرى تلك البقعة . فوجدتها كالنافورة !

وما زال ذلك السائل اللزج الثقيل يتدفق منها بغزارة ، حتى صار الحمام نهرًا تجرى فيه الدماء .

وضعت يدى على الأرض لأتحسسه فوجدته دافئًا !

خرجت من الحمام ودقات قلبى تتسارع .. وأضفت :

ـ هناك شىء ما فى الطابق العلوى .

قاطعنى عم (صفوت) قائلاً :

ـ لقد أخبرتك من قبل يا بنى ، وقلت لك مرارًا إن تلك الشقة مسكونة ولم تصدقنى .

نظرت له ، فوجدته يرتعد ، فأضفت :

ـ سوف أصعد كى أرى ما مصدر تلك الدماء !

اتسعت عينا الرجل ، كأننى أمليت عليه مصيبة ، وقال فى شىء من التوتر :

ـ أرجوك يا بنى ليس الآن ، بل اصرف نظر عن الموضوع برمته ، وتخلص منها ، أما عنى فلا بأس من بعض الدماء ، التى لن تضر .

ـ لكن .

ـ إن أردت أن تصعد .. اصعد وحدك ، أما عنى فلن أفعل .

ـ لم أطلب منك أن تصحبنى إليها ، أما عنى فسوف أفعل .

قلت هذه الكلمات وأنا أعلم أننى لن أصعد بمفردى ، وأن الرجل سوف يصعد معى .. ولو بدافع الفضول .. الفضول الذى قتل القط .

هكذا علمت أنه سيصعد ، وعلمت أن نظرتى إلى تلك الشقة لم تعد كالسابق أبدًا ، خاصة بعدما بدأت تصديق ما قاله عم صفوت، لكننى لم أتراجع عن موقفى أمامه ، وخاصة أننى رجل علم .

وبالطبع كان ما خمنته صحيحًا ..

فلم يتركنى الرجل أصعد بمفردى .. وصعد معى ، وليتنا ما صعدنا ..

• • •

30

لماذا اخترت ذلك الوقت ؟ .. حتى تكون فى مأمن بعيدًا عن أعين الجيران ..

نظرت للحاج (صفوت) ، وسألته للمرة المائة :

ـ هل أنت على ما يرام ؟

ـ نعم .

ـ هل تعلم ما تفعله جيدًا ؟

ـ نعم

ـ هل ؟

ـ نعم

ـ هل ؟

ـ نعم .

وهكذا بدأنا الصعود بعد أن أحضرت كشافًا لا بأس به ، وكذا المفاتيح ، وأحضر عم (صفوت) زجاجة عصير مثلج ، لأجل أن السكر قد ارتفع لديه لأنه فى رحلة ، وبدأنا فى الصعود ..

سعل الرجل كثيرًا ، وأمسك بقلبه بعد أن صعدنا بضع درجات ، وقال لى بصوت مبحوح :

ـ لقد ذكرنى ذلك الموقف بجدك رحمه الله عندما صعدنا إلى تلك الشقة سويًا .

لم ألتفت إليه ، وهمهمت :

ـ رحمه الله ..

وصلنا إلى باب الشقة ، الذى امتلأ بخيوط العنكبوت .. وقد حال لونه فى كثير من المواضع ..

أولجت المفتاح ، وأدرته ، ومن ثم دلفنا إلى الداخل ..

أخرج عم (صفوت) الزجاجة ورشف منها قليلاً ، ثم ناولنى إياها فرشفت منها قليلاً بدورى ..

أضأت المصباح الخاص بالصالة ، وتقدمنا بضع خطوات ..

« مجرد شقة عادية تمامًا .. أثاث بالٍ .. غبار فى كل مكان بالأطنان »

نظرت إلى عم (صفوت) ، الذى أخذ يجول ببصره فى كل مكان تقريبًا ، وأضفت :

ـ أين هى الشياطين والعفاريت والجن ؟

لم يجب ، فقط أخذ يتقدم داخل الشقة .. متفقدًا المكان بحذر شديد ..

ثم أضاف وهو يرتعد ، ويشير إلى الأرض المكسوة بطبقة كثيفة من الغبار ، زال بعضه فى الكثير من المواضع ، بفعل آثار أقدام صغيرة ، وكبيرة عارية كأنها لعائلة كانت تقطع الشقة جيئة وذهابًا حفاة :

ـ انظر ؟!!!

قالها فارتعدت .. إن هؤلاء لهم وجودًا ماديًا ...

فاطمئن الحاج (صفوت) :

ـ يا بنى من الحمق أن نظل هنا .. ربما أزعجناهم الآن ، وربما مسونا بسوء !

نظرت إليه وتساءلت :

ـ من هم اللذين سيمسوننا بسوء ؟

ارتعد أكثر ، وأضاف :

ـ أصحاب الشقة .. عمار المكان .

نظرت إليه ، وأنا أصرخ :

ـ أنا صاحب الشقة .. ليس هناك مالك لها غيرى ، وإن كان فليظهر لى الآن .. أو ليختفى إلى الأبد .

هكذا قلتها فانقطعت الكهرباء مرة أخرى !!

* * *

أمسك بى عم (صفوت) ، وأخذ يرتعد فرقًا ، ثم أضاف :

ـ هيا بنا يا بنى ، كفى ما حدث ، ولنعد من حيث جئنا .

أخذت الكشاف الذى أحضرته معى ، ووجهته إلى الأمام ، وأخذت فى التقدم ضاربًا بحديثه عرض الحائط .

ثم نظرت إليه وأضفت مطمئنًا :

ـ ليس هناك داع لكل ذلك القلق يا عم (صفوت) أنت واهم فحسب صدقنى .

قلتها بعد أن وصلت إلى الحمام ، ثم تصلبت فى مكانى .. من هول ما رأيت !!

* * *

31

إنه عز ..... زززز ..... تتتت !!

قالها عم (صفوت) ، بعد أن تقدم ليقف إلى جوارى ، وبعدها صمت !!

القتيل ؟!

قلتها لكنه لم يجب .. لأنه كان قد قبض بيده على صدره ، وأخذ يتنفس بصعوبة بالغة .

ورأيت مشهدًا لم ولن أنساه ما حييت .. أنه الهول ذاته !

كاد قلبى يثب من بين ضلوعى ، لكننى تسمرت ، ووقفت أرقب ما يحدث رغمًا عنى ..

« كان تجمدًا كاملاً .. أو كما يطلقون عليه تجمد (أكتوبلازمى)[1] .. لكهل فى الستين من عمره تقريبًا .. نحيل .. يملأ وجهه التجاعيد ..

يجلس على أرضيه الحمام ، وينظر إلى الخارج « تجاهى » ، لكنه لا يرانى .. « هذا ما استنتجته بعد ذلك .. »

ينهض ، ويدلف خارج الحمام ، دون أن يصطدم بى ، كأنه طيف !!

---

[1] التجمد الأكتوبلازمى هو نوع من أنواع التجمد ، الذى تظهر فيه الأجساد كأنها على قيد الحياة ، بكامل هيئتها ، لكنها شفافة ، فلا تستطيع الإمساك بها أو تحسسها .

ثم يتجه إلى النوافذ ليغلقها جميعًا ، ثم يوقد بعض الشموع ... ويفتح أحد الأدراج ، ثم يمد يده ، ويتناول كتابًا أصفر مهترئًا ، ولفافة من القماش وبعض الورق أحمر اللون ومقصًا .. ثم يجر طشتًا من النحاس ويأخذ هذا كله ، ويدلف إلى الحمام مرة أخرى !!

* * *

يجلس على الأرض ، ويداه ترتعدان .. يرتب أفكاره جيدًا .. يفند الورق أمامه البخور .. الكثير من البخور ، والكثير من الدخان ، ثم يبدأ في ملء الطشت بالماء من الصنبور ، ويبدأ في تقطيع الورق على صفة شخص ، ثم أخذ يكتب بعض النقوش والعزائم على تلك الورقة المقصوصة وهو يتلو بعض العزائم الموجوده في الورق ، بصوت لم أتبينه جيدًا :

« طقطلقا هول .. شلاخيم .. بشلاش .. طشقام بلاغ !!

ثم يصمت ، ويكمل :

ـ أقسمت عليك يامبطرون يامالك الأشباح أن تأمر عوغيل لم أسمع ذلك الجزء جيدًا ..

ثم أضاف :

أن يجلبوه ويجبروه على طاعتي وحدى .. أين الأبالسة ... أين الوساوسة ؟!

« صوت طقطقة » !!

ما هذا الهراء ؟

قلتها فى نفسى ، وأنا لا أزال أرمقه ..

ثم يكمل قراءة الورق ، لكن هذه المرة بصوت عالٍ !

بحق ما تلوته عليكم هيا الساعة .. هيا الساعة ..

قال هذه الأخيرة بعد أن أمسك بقطعة قماش قذرة المنظر ، تناثر عليها بعض من البقع الحمراء .. بدا أنها دماء .. ثم تناول من جانبه ريشة وأخذ يخط بها أشكالًا غريبة مضيفًا إياها إلى التابلوه المرسوم من قبل على تلك القطعة !!

ثم أمسك بها بكلتا يديه من طرفيها ، ومزقها إلى نصفين !!

ما الذى يفعله ذلك المعتوه ؟ .. ما ذلك الخبال ؟

فى هذه اللحظة سرت القشعريرة فى جسدى بالكامل ..

بعد أن ارتعد جسد الرجل ، وارتجفت أوصاله كلها .. حين رأى أمامه ، كأن ذرات من الغبار المتناثرة فى الهواء تجتمع مع بعضها البعض ، ليبدأ تجسد شىء ما شىء ما ضخم !

حاول أن ينهض ، لكنه لم يستطع .. فقدماه لم تعد قادرة على حمله ..

يتراجع إلى الوراء ، وهو على ذات جلسته ..

« الآن يكتمل الشىء تمامًا أمامه » !!

وكأن ذلك الشىء قد أتى من الأزمان الغابرة !!

صوب نظرة على الرجل الجالس على الأرض ، معاتبًا ، ومنذرًا بالويل .

سلام قولًا من رب رحيم .. « هيييييننئ » !!

بالطبع هذه الأخيرة لم تصدر إلا من عم (صفوت) ..

فعلها ثم تهاوى على الأرض بلا حراك !

لم أستطع عمل شيء ، فقدماى لم تعد تحملانى تقريبًا .. نظرت إلى عم (صفوت) ، ثم إلى الشيء الذى أخذ يتقدم ناحية الرجل وناحيتى !!

عندها رأيت الرجل قد جثا على ركبتيه ، وأخذ وضع التوسل ، وأخذ يردد :

لم أكن أقصد .. أنا أعلم أننى نقضت العهد ، لكن .

نظر له الشيء ، وقاطعه بصوت غريب :

ما الذى كنت تود فعله ؟ هل كنت تحاول استدعاء أحدٍ غيرى ليصدك عنى ؟

لا لم ..

بل فعلت .. لقد أنذرتك منذ البداية ، لقد قلت لك ألا تنقض العهد وإلا ..

قالها الشيء مقاطعًا الكهل ، الذى لم يجد مناصًا من أن يفر على ركبتيه ويديه ، وهو يحبو على الأرض خارجًا من الحمام .. نحيت نفسى جانبًا كى يمر ..

نظرت داخل الحمام فلم أجد الشيء ..

لأنه كان قد مر خلالى دون أن أراه ، ليتبع الرجل !

، مشية واثقة لا تمت لعالمنا بصلة ،

نظرت تجاه الحاج (عزت) فوجدته يبحث عن طريقة ما للفرار ، لكن أين ؟

الشقة كلها لا يصلح فيها الاختباء ..

عندما رأى الضوء الخافت القادم من النافذة .. خافت لكنه شاهده .

يزيد من خطواته حتى يصل إليها ثم يفتحها ، وينظر من خلالها .. يدير فهره إليها ، ليلقى نظرة عابرة داخل الشقة بحثًا عن الشىء ، فلم يجده .. يتفض الصعداء

عندئذ يراه .. يتقدم ناحيته ..

يتهد فى استسلام .. لابد أن يحسم الأمر..

يمد يده اليمنى ثم اليسرى .. و ....

، ذلك المخبول سوف يلقى بنفسه من النافذة ، !

لكن ذلك الشىء لم يعطه الفرصة للفرار ، فقبل أن يتخذ أية قرارات كانت رأسه تطير ، لتستقر فى ركن الغرفة !

ثم نظر الشىء تجاهى ، وأضاف بذات الصوت الغريب ، كأنه جاء من مكان

أنت التالى !

نظرت خلفى كى أرى لمن يتحدث فلم أجد أحدًا فعدت بنظرى إليه . لكنه كان قد تلاشى !!

* * *

32

تلاشى وتلاشى كل شيء تمامًا ، وعاد الصمت ليعم المكان !!

لا أعلم من أين أتيت بتلك القدرة على الانتظار ومشاهدة ما حدث كنت أتزنح ، لكننى فعلت ، وعندما أفقت ، لم أنتظر أكثر من ذلك .. حاولت فى سرعة إفاقة عم (صفوت) ، لكنه لم يتحرك قط .. اعتقدت أن قلبه لم يتحمل ما رآه ..

- يا له من مأزق ..

قالها الرجل ، ثم أضاف :

- وماذا فعلت ؟ بالطبع خشيت أن تتهم فى قتله ، أو ... شيء من هذا القبيل .

نظر إليه شرف ، بعد أن طقطق أصابعه ، وأخذ يكمل :

- كل ما فكرت فيه هو .. أننى كيف سأقص على الجيران وعلى زوجته ما حدث ؟ ... كيف سأحكى لهم أن هنالك (عزت) ، الذى مات منذ زمن ؟ وأن هنالك دماء قادمة من الشقة ؟.. بالله عليك كيف سيصدقوننى ؟

قالها ثم زفر فى الهواء ، وأخذ يكمل :

ـ لذا أخذت بعضى وهرولت إلى الخارج ... أخذت أقفز على الدرج .. إلى أن وصلت خارج المنزل بالكامل ..

ومن ثم أخذت سيارتى ، وأخذت أتهيب شوارع المدينة نهبًا ، وأنا لا أعلم إلى أين .. كل ما وددت فعله هو الابتعاد عن ذلك المنزل فحسب ..

• • •

33

وهكذا خرجت لا أعلم أين أذهب .. ظللت أجوب الشوارع بسيارتى ساعات ..

ثم عدت المنزل .. متوقعًا الأسوأ ، لكننى لم أجد شيئًا !

الوضع هادئ تمامًا ..

صعدت ببطء على الدرج .. ووقفت أمام شقة عم (صفوت) .. أصخت السمع ..

لم أسمع صراخًا .. ولا .. ثم انفتح الباب .. ليطل منه وجه عم (صفوت)!!

- كيف ؟!

قالها الرجل لشريف ، فأضاف ، دعنى أكمل فحسب :

- كدت أموت هلعًا بكل تأكيد ، لكن الرجل اعتصرنى ، وأخذ يصرخ فى وجهى قائلاً :

- أين كنت .. لقد بحثت عنك كثيرًا فلم أجدك .. وبالطبع لم أحرك أنا ساكنًا فقط وقفت مشدوهًا .. صامتًا .. لم أدر بما سأجيب .. خاصة وأننى أراه ملقى على الأرض بلا حراك داخل الشقة ، وهرولت خارجًا منها بلا مبالاة ..

كدت أخبره بأننى قد فحصته ، وحسبته مات ، لكننى عدلت عن ذلك ..

ـ لقد تركتنى ، وفررت وحدك .

قالها ثم أضاف :

ـ لكن حمدًا لله ، أنه ستر .

ـ لا تؤاخذنى يا عم (صفوت) .. فالموقف كان صعبًا للغاية ، وحمدًا لله على سلامتك ، على كل حال ...

ـ أعلم .. أعلم ، سوف أتركك الآن ، لصلاة العشاء ، وسوف أمر عليك بعدها كى نتحدث سويًا .

ـ بخصوص ....

ـ بخصوص الشقة !

قالها ثم تركنى وهبط الدرج .. فصعدت أنا إلى شقتى ..

* * *

34

وكأنما كان بانتظارى ...

ما إن وصلت إلى باب شقتى .. حتى وجدت الظرف إياه ، ومن ثم الرسالة الرابعة .. وقد حوت الآتى :

« عزيزى شريف ..

هذه المرة مهمتك سوف تكون ذات شقين ..

سوف تجد داخل ذلك المظروف شريحة ذاكرة !

هنالك فتاة تدعى (سارة نبيل الخولى) .. عنوان العمل الخاص بها هو

٧ ش النحاس ـ أسيوط

سوف ترسل لها تلك الشريحة بالطريقة التى تروق لك ، لكن لا تدع أحدًا يراك .

أما عن الباقى فأنت تعلمه جيدًا ! »

قال (شريف) ما قال ثم نظر إلى الرجل، وأضاف :

ـ أصارحك القول ..

ـ هاه ..

ـ لقد تملكنى الفضول ..

ـ لك كل الحق ..

ـ ثم إننى شعرت بالريبة مما يحدث .. وشعرت أيضًا أنها فرصة ، كى أعلم ما الذى يدور .. هل أوحلت نفسى فى شىء ما ؟ أم أننى مجرد رسول فحسب ، وأتقاضى مقابل ذلك مالاً ..

أم أن هناك شيئًا آخر ربما علمته إن استخدمت تلك الشريحة .

التى طلب منى أن أبعثها إلى تلك السيدة ..

ابتسم الرجل فى خبث ، وأضاف :

ـ وبالطبع فتحت الشريحة ؟

ـ بالفعل هذا ما حدث ..

* * *

ـ فتحتها ، بعد أن أوصلتها بالحاسب الآلى .. لكنها لم تحو سوى بعض الصور لعاشقين .. فى أوضاع مختلفة ..

أما ما لفت انتباهى هو أن العاشق واحد فقط ، أما المعشوقه فهى مختلفة

مع كل صورة !

- إنها هذا فحسب .. مجرد صور ..

- نعم ..

قالها الرجل فأجابه (شريف) بهذه الأخيرة ، ثم أضاف :

- وبالتالى لم يعد هنالك ما تخشاه من تلك الرسائل ..

- نعم .. اذا فعلت ما طلبه منى مرة أخرى ..

- وبالطبع ذهبت ، وأخذت الأموال ..

- صحيح .. لكن هنالك شيئا ما لم أقصه عليك بعد ..

- ما هو؟

- عم (صفوت) ..

- صحيح .. هل عاد إليك ؟

- نعم أدى فريضة العشاء ، وجلس معى ليتحدث بصدد ما حدث داخل الشقة بعد أن أعددت له الشاى الذى أخذ يرشف منه فى تلذذ ..

فقصصت له ما حدث وما لم يره هو من تجسد وغير ذلك ، حتى فررت أنا من خارج المنزل بأكمله .

وبعد أن انتهيت ، رشف رشفة من قدحه ، ثم أضاف :

- يا ولدى أنا أعرف رجلاً يفهم فى مثل تلك الأمور يدعى الشيخ قلة .

شروووووووف

ـ وقبل أى شىء .. لا بد أن تتخلص من تلك الشقة وتؤجرها للرجل .

شروووووووف

رشف مرة أخرى ، فى تلذذ ، ثم أضاف بعد أن فكر لبرهة :

لا أعرف ما أقول لك .. لربما ذلك الشىء هو من يفعل ذلك بتلك الشقة ، حتى تتركها له .. فربما كانت الشقة بالنسبة إليه مأوى ، وليس له سواها ..

ـ ماذا تقصد ؟

قلتها وأضفت :

ـ ما أقصده أن ذلك الكائن الذى أتى به (عزت) هذا إلى الشقة ، اعتبرها مسكنه الوحيد الذى جاء من عالمه إليه ، فليس له سواه .

قال (صفوت) ما قال ، ثم أضاف :

ـ لا أدرى .. حقًا لا أدرى .. ربما قلة هو الحل .

عندئذ كان (صفوت) قد فرغ من قدحه ، نهض شاكرًا ، واتجه إلى الباب ، مضيفًا :

لا بد من التخلص من تلك الشقة ..

* * *

35

تنهد الرجل ، وقد بدأ يفكر مع (شريف) ، ثم أضاف بعد أن صرخ فى أحد السجناء كى يسرع فى إعداد الطعام :

ـ استمع إلى يا دكتور ، أعلم أننى لست خير من يجيبك ، لكنى أشعر أن كل ما حدث لك أو لجدك رحمه الله ، له علاقة بذلك الرجل الغريب الذى أراد الصفقة منذ البداية ..

حك (شريف) رأسه ، بعد أن كاد يقول له أنه لا يحتاج إلى توصية ، لكنه صمت اتقاء شره ، ثم أضاف بعد أن كتم خواطره تلك :

ـ وأنا أيضًا أشعر بذلك ..

عبث الرجل فى أذنيه ، ثم أضاف :

ـ أنم أقل لك ..

* * *

وأخيرًا أتت الرسالة الأخيرة ، وكان يطلب منى فيها أن أوصل خريطة ما بذات الطرق السابقة لعنوان ما ، فقط صورة ضوئية منها ، واحتفظ بالأخرى حتى يخبرنى ما سأفعله بها ..

ولن أذهب بعد ذلك إلى المكان المتفق عليه لأجد المقابل .

ولعنت ما أملاه على كاملاً ..

وعدت إلى شقتى لأجد مفكرة سميكة نوعًا تنتظرنى على المائدة من أين أتت ، ومن أتى بها إلى هنا ؟! لا أعلم .. فقط أمسكت بها ، وبدأت أقرأ .

* * *

« هنالك عقول يجب أن تنحنى لها احترامًا » .... ، لكن بشرط أن تكون تلك العقول آدمية !

المؤلف

ما ستقرءونه فى الأوراق القادمة قد حوته مفكرة منفصلة تمامًا عن باقى الأوراق ، لكننى فضضتها هنا لأن ذلك موضعها الأمثل ، وسوف تفهمون ما أعنى فيما بعد .

صابر السمنودى

لا يعلم متى تسللت فكرة الانتحار إلى رأسه ؟

الجميع خائن .. الكل أصبح يمقته .. زوجته .. حتى زوجته ..

هكذا رأى بنفسه الحبوب فى الجزء الخاص بها فى حافظة الثياب .. فى البداية حسب أنها دواء ما ، لكنه ارتاب فى الأمر لأنها تخبئها ..

فإن كان ذلك دواءً فعلاً فلمَ تداريه ؟

هكذا قرر ، ودلف إلى حجرتها ، وبحث حتى وجدها ..

دخلت عليه ، فدسه فى جيوبه ، وابتسم .. انتظر حتى سنحت له الفرصة ، وذهب إلى الصيدلية ، وسأل الصيدلى ، الذى أجابه قائلاً :

سيليست ..

إيه ؟

أقراص لمنع الحمل !

عندها علم السبب الذى جعله لم ينجب حتى هذه اللحظة .. لقد حسب أنه عاقر ، لقد حسبها تحبه ، لكنها خدعته ..

كم أطلقت السباب عليه ، وتحملها ، ناهيك عن المعيرة .. من قلة الراتب ، الذى يتقاضاه .. ثم طلباتها التى لا تنفذ .. فقرر أن يتخذ من الديون وسيلة ، فلم يجد أمامه سوى ((شوقى) عبد المولى) صديقه فى مصنع الثلج ..

هو من وثق به .. هو أقرب الأشخاص إليه .. أعزب فلا يحتاج إلى الكثير من الأموال ..

هكذا قال ، وهكذا تكدست عليه الديون ..

أما متى فكر فى الانتحار ؟

فعندما طالبه (شوقى) بالسداد ..

أمهله مرارًا ، لكنه لم يسدد ..

طالبه مرارًا ، لكنه لم يسدد ..

تذكر حوارهما معًا فى المصنع ...

ـ أنا عاوز أتجوز يا بنى آدم .. علشان كده عاوز الفلوس دى .. أنا صبرت عليك كتيييير .. وانت معندكش دم ..

ـ مأنا قلت لك مممعاييش ..

ـ لحد إمتى ؟ .. بقالك تسع شهور عمال تقولى لما ربنا يأذن .. هتسدد إمتى ؟

لما ربنا يأذن ..

ـ إنت طول ما أنت متجوز البرنسيسة دى ، وعمال تجيبلها اللى هى عاوزاه ، مانتش هتتفع ، وهتفضل مديون على طول .. اعمل لنفسك شخصية بقى .. بدل ما هى راكباك ومدلدلة ..

اخرس يا بن ال « ..... »

ـ إنت مش هاتيجى غير لما نعملوا معاك خناقة ، ونموّتوك فيها !

تموّتنى ؟!..

وهكذا أمسكوا بتلابيب بعضهم البعض ، فى وسط المصنع ، ووسط الجميع ...

التف الجميع حولهما ، وأخذوا يهدئونهما .. وسط الكثير من السباب العنيف..

يتذكر هو كل هذا .. فيومئ برأسه إلى الأمام ، ثم يطلق سبة بذيئة ، ويضيف :

خونة !

ثم يتذكر زوجته هى الأخرى التى تركت له المنزل ، وغادرت إلى حيث لا يدرى .. ثم :

خونة ..

عندما قرر الانتحار !!

سوف ينتحر ، لكنه لن يموت هكذا !

سوف يظهر أن هنالك من قتله !

سوف يورط بها أحدهم !

لكن كيف ؟! ، ثم ما هى الأداة ؟!

مسدس .. من أين له به ، أو بثمنه .. حتى ولو أحضره ، فكيف سيظهر أن هنالك من قتله ؟

فمن الذى سوف يمحو له بصماته عندما يموت .. ويبدلها بأخرى ؟! سكين .. لا يريد أن يموت هكذا .. لا يريد أن يطعن نفسه أو يذبحها ، فسوف يتعذب كثيرًا بهذه الميتة .. ثم قمثلها مثل المسدس ..

يظل يفكر ويفكر .. مقلبًا رأسه يمينًا ويسارًا .. ثم صرخ قائلاً :

وجدتها وجدتها ..

هكذا صرخ فى قهوة بندق ..

نادى على الصبى ، ثم ناوله بضعة جنيهات ، ثمن الحجر الذى حرق به صدره منذ قليل ، وانصرف ..

« سوف يشنق نفسه ، لكن ليس كأى شنق » .

لن يستعمل مقعدًا أو منضدة أو ... حتى يصعد إلى الحبل .. وإلا فلن تظهر إلا انتحارًا .. وهو لا يريد ذلك ..

لذا سيستعين ببعض ألواح الثلج !!

نضجت الفكرة فى رأسه ، وبدأ فى تنفيذها ..

أحضر بعض الألواح ، ووضعها فى الصالة .. بالتحديد أمام النافذة !

نظر إلى السقف .. بالتحديد إلى الحبل الذى يتدلى منه ، لقد ربطه بإحكام » ..

لم يفته أن يفتح النافذة كى يسمح لأشعة الشمس بالدخول ، حتى تذيب الثلج ! ، وبعدها يتبخر الماء .. ومن ثم يزول أثره تمامًا ..

سوف تفكر الشرطة فى كيفية صعوده إلى الحبل .. سوف يبحثون ولن يتوصلوا إلى شىء ..

عندها ستبحث الشرطة عن الفاعل .. عن القاتل الذى شنقه !

سوف يموت ، لكنه سوف يترك لهؤلاء الخونة تذكارًا بسيطًا ..

يصعد على الألواح بخفة ..

خونة ..

يضع الحبل حول عنقه ..

خونة ..

لو وجهت التهمة إلى زوجته .. فهذا جيد ..

ولو وجهت إلى صديقه (شوقى) .. فهذا جميل .

يستقر على الألواح ، وحول رقبته الحبل .. ثم يزيح برفق الألواح من تحت قدميه ، وهو يقلب هذا كله فى رأسه .. ثم يبتسم للمرة الأخيرة !!

* * *

« ما هذا العقل ؟..... لقد مات صابر السمنودى .. » !!

قالها (شريف) محدثًا بها نفسه ، ثم أضاف محدثًا نفسه مرة أخرى :

ـ « وبالطبع أنا من أمد الشرطة ببطاقة الـ (شوقى) هذا .. عندما أرسلت بها من تحت الباب الخاص بشقة (صفوت) .. وبالطبع أحكمت الأدلة ضد (شوقى) .. ومن الممكن أن يحكم عليه بالإعدام ، لأنها مع سبق الإصرار ..

لقد غمس يدى فى جريمة قتل .. لكن لم ؟

وكيف دبر كل هذا ؟! .. بل السؤال الأهم .. من هذا ؟ »

بالطبع لم يجد (شريف) إجابة واحدة لأسئلته ، فأخذ يكمل قراءة الأوراق ..

* * *

رأفت

- « على الرغم من كل صفات (رأفت) ، التى تفضلها أية فتاة ، إلا أنه يمتلك أسوأ صفة لا تفضلها أية فتاة .. ألا وهى « الغيرة » .. صحيح أن تلك الصفة فى كثير من الرجال ذوى الطابع الشرقى ، لكن ليس على تلك الشاكلة التى عليها رأفت ، « فكل شىء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده » ..

وصحيح أيضًا أن كثيرًا من الفتيات يروق لهن تلك الصفة ، لكن إن ضاق بهن الخناق .. طلبوا الطلاق ..

١٢٥

صدقينى لن تطيقى معاشرة ذلك الرجل ..

سأجرب .. فالرجال قليلون هذه الأيام ..

ليست حياتك حقلاً للتجربة ، ثم إن نصيبك سوف يأتيك حتمًا .. فأنت تظنين أننا فى بلدنا ، لا نملك ثقافة التعامل مع المرأة المطلقة .. ثم إنه يجرك بعشرة أعوام ..

لكن !! .. سوف أتزوجه ..

هكذا نصحوها ، وهكذا أبت النصيحة ، وهكذا تزوجوا .. وهكذا بدأت المشاكل والخلافات تنهمر على رأسها كالمطر .. وبالطبع لم تشك حالها إلى أحد ، لأنها من اختار ، لذا قررت أن تصلح من حاله ، وهكذا لم تتوان فى نصحه ، لكنه كما هو ..

كم من مرات قال لها إنه سوف يتغير ، إلا أن كلامه يذهب أدراج الرياح ..

متى حدث كل شيء ؟

منذ لمح ذلك الشاب .. يقف أمام كشك طيبة الذى يقبع أمام العمارة التى يقطن بها .. ويرمقها بعينين زائغتين ، ينظر إلى أسفل ثم أعلى ..

ود لو ذهب إليه وسأله ما الذى أتى به إلى هنا ، ولماذا يرمق العمارة هكذا .. لكن ما شأنه هو ؟!!

وهكذا مضى فى طريقه ، ونسى كل شيء ..

فى صباح اليوم التالى ..

هبط الدرج ذاهبًا إلى عمله فى الشركة كعادته ، فرآه يقف أمام العمارة على ذات الشاكلة ، ويتناول زجاجة من المياه الغازية ..

دقق النظر إليه ، لكنه لم يتخذ قرارا ، فذهب إلى عمله ..

صحيح أن ما يفعله ذلك الرجل عادىَ ، لا يثير الريبة ، لكنه ارتاب فيه .. لا يعلم لمَ .. ولا يعلم لمَ شغل حيزًا كبيرًا فى رأسه .

فى اليوم الثالث ..

هبط الدرج ، وهو ينتظر رؤياه ويتوقعه ، وبالفعل وجده يقف ينتظر ..

من هنا .. بدات الشكوك تحتشد فى رأسه .. صحيح أنه لا يقطن فى هذه العمارة وحده ، لكنه ، وحده من تزوج بفتاة تصغره بعشرة أعوام ..

أراد أن يعود أدراجه إلى المنزل ، لكنه عدل عن رأيه ..

ومر اليوم فى عمله كئيب مقيت ، تعصب على الجميع اختلق الشجار مع الجميع ، وبعدها انصرف ..

عاد إلى زوجته ، وسألها مائة سؤال ، وبالطبع هى لم تدر بأى شىء تجيب ، لأنها لا تعلم ما الذى يتحدث هو عنه ..

قرر أن ينهى الحوار معها ، بعد أن دبر ما عليه فعله ..

فى اليوم التالى ..

هبط الدرج ، متظاهرًا بالذهاب إلى عمله ، لكنه لن يفعل ، فما سيفعله هو التظاهر فحسب .. أما ما سيفعله هو مراقبة ذلك الغريب ..

خرج إلى الطريق .. حيث هواء الصباح ، رمقه من على بعد ، وشق طريقه مبتعدًا عنه وعن العمارة ..

وخلف سيارة ما توارى ، يراقب الغريب ، ويستمع إلى ضربات قلبه ..

لم يمر سوى دقائق ، ثم بدا الغريب فى التحرك إلى داخل العمارة ، ومعه تحرك قلبه الذى كاد أن يثب من بين ضلوعه .

خرج من خلف السيارة وتحرك ناحية العمارة فى سرعة .. وصلت إلى الركض .. إلى أن وصل إلى داخل العمارة ، ومن ثم بدأ ينهب الدرج نهبًا رغم امتلاء جسده ، وترهله .. ينظر إلى أعلى حيث الغريب الذى بدا فى هبوط الدرج ، ثم .. « تررررااااك » ... سمع صوت باب شقته ينغلق !!!

لقد كان فى شقته ، لقد كان فى أحضان زوجته بكل تأكيد ، لقد ...

« أن جسده كله يكاد أن يحترق من الداخل » .. لقد كانت شكوكه فى محلها .. لا بد أن يتخذ قرارًا ، لابد أن يدافع عن شرفه .. لابد أن .....

هكذا دار كل ذلك فى رأسه ، وهكذا اصطدم بالغريب ، حاول الإمساك به أو اللحاق به ، لكنه فر واثبًا من بين يديه ومن ثم فر مبتعدًا ..

أكمل صعوده إلى أن وصل إلى شقته وأخذت كلتا يديه تطرقان الباب وتضغطان على جرسه ، إلى أن فتحته زوجته ، ودون كلمة واحدة انقض على عنقها ، وأمسكها ، وبدأ فى اعتصارها بإصبعيه بعنف ، حتى سمع صوت الطرقعة ، التى أعلنت عن فراقها للحياة ..

وهكذا تركها لتسقط من بين يديه إلى الأرض ، ثم بدأ جسده فى الانتفاض ..

وبعدها جثا على ركبتيه وأخذ فى النياح ..

فى تلك اللحظة ، كان بعض من القاطنين يهبط الدرج فرأى ذلك المشهد ، ومن ثم لم يتوان فى إجراء مكالمة هاتفية من هاتفه إلى الشرطة ، التى جاءت ، وسط كم لابأس به من المشاهدين .. وهو يضحك فى هيستيريا ..

* * *

تنهد (شريف) بعد أن تصبب عرقًا ، وأمسك بكوب من المياه المثلجة ، وجرعه فى مرارة ، وأخذ يكمل .....

* * *

سارة نبيل الخولى

أنت لا تعلم من هى (سارة نبيل الخولى) ، لذا أعرفك بها .. إنها فتاة من صعيد مصر ، لكنها تقطن فى القاهره ، طبائعها لم تتبدل كثيرًا .. هى .. هى ..

١٢٩

كأنها تحيا هنالك ..

فهى لم تنفصل عن الصعيد .. فكل مناسبة تجدها وأهلها هناك ..

تعمل فى إحدى شركات الكمبيوتر التى أنت بها لها صديقتها نشوى ، فهى تعمل هناك وبمجرد أن انصرف موظف وترك مكانه فى الشركة ، أخبرت صاحب العمل أن لديها البديل ، وبالطبع كان البديل هو (سارة) .. صحيح أن والدها اعترض كثيرًا على ذلك العمل أو على عملها أصلاً ، لكنه وافق بعد كثير من الضغوطات سواء منها أو من والدتها ، التى ظلت تخبره أنها .. أقصد (سارة) .. قد فاتها قطار العمر وكذلك قطار الزواج ، وأنها لابد أن تعمل وتخرج كى يراها الناس ، ويأتى إليها ابن الحلال .. هكذا قالت وهكذا وافق ..

ذهبت إلى العمل وهنالك وجدت (خيرى) .. منذ النظرة الأولى واللحظة الأولى قالت إنه ابن الحلال .. هو .. نعم إنه هو .. أخبرت صديقتها نشوى كى تخبرها عنه فقالت إنه باختصار (لابأس به .. ثم إنها لا تعلم عنه الكثير) .. هذا ما أعلمه عنه ، ثم لديه شقة ، أعزب لايوجد له أب ولا أم .. لا أعلم عنه الكثير !

إذًا فهو .. هو ..

تذكر أول نظرة نظرها إليها ، وابتسم ..

وقتها شعرت بأن الدماء قد فرت من جسدها بالكامل وتجمعت فى خديها..

ـ أهلاً بك فى الشركة ..

ـ .....

ـ اسمك ؟

ـ بتردد ... سارة ..

ـ جميل .. أنا أعشق ذلك الاسم ..

ـ أنا صديقك فى الشركة اسمى هو .

ـ خيرى ..

لا تعلم كيف انسلت الكلمة من فيها ، فسرعان ما انتبهت ، وتركته ، وانصرفت ..

عندها علم أنه .. قد دخل إلى قلبها .. وعلم أنها مهتمة به .....

وهكذا نصب شباكه ، وبدأ فى تنفيذ الجملة الأزلية .....

(نظرة فابتسامة فكلمة فموعد فلقاء فذهاب إلى شقته)

هنا هو عش الزوجية ..

ثم دار ما دار بينهم ..

ووعدها بالزواج ثم بدا فى التملص ، حتى الاتصالات قد قطعت تمامًا بينهما .. ثم اختفى من الشركة !!

* * *

بالطبع كانت كالمجنونة .. تتساءل عنه هنا وهناك ، لكن لاشىء .. لا أحد يعرف عنه شيئًا ..

باختصار (قص ملح وذاب) ..

لم تجد سوى نشوى صديقتها .. لتقص عليها ماحدث بينهم .. وبالطبع لم تملك نشوى سوى الصمت والذهول ، كأن على رأسها الطير ..

ثم ..

قالتها متسائلة، فنظرت إليها والدموع تنهمر من عينيها وأضافت :

لا شىء ؟..

مانا ؟

لا شىء .. اختفى ..

هل ذهبت إليه فى شقته ؟

لا

لماذا ؟

لأن .....

سنذهب له سويًا ..

هكذا قاطعتها ، وهكذا كان قرارها ..

* * *

جلست على مكتبها ترتب ما الذى ستقوله له .. وكيف ستجبره على الزواج منها ..

فى هذه اللحظة جاءها عم (عدلى) الساعى ليقول لها إن هناك من يريدها بالخارج ..

تساءلت فأجاب أنه طفل ما لا يعرفه ، وأنه يريدها وينتظرها ..

قدرت أنه من طرف (خيرى) ، فنهضت واتجهت إلى الخارج لتقابله ..

بالخارج وجدت طفلًا لم يتعد الحادية عشرة من عمره قد وقف يحك فى رأسه ويحاول محاولة بالسة فى رفع بنطاله ..

اقتربت منه ثم جلست القرفصاء وأضافت :

من أنت ؟ هل بعثك (خيرى) ؟

قالتها ، وانتظرت الرد ، الذى لم يأتِ .. فقط نظر لها الطفل فى بلاهة ، ثم وضع فى يدها كارت ميمورى ، ثم فر مبتعدًا !

نظرت له وهو يبتعد ثم نهضت آخذة الكارت إلى مكتبها ..

ألقت نظرة على الجميع ، الكل ملهى فى عمله ..

أوصلت الكارت بالحاسب .. لترى الآتى :

(خيرى) وبين أحضانه فتاة .. إنها هى .. تبتسم .. ثم تضغط لتقلب الصور ، فترى ذات المشهد ، لكنه مع فتاة أخرى غيرها ، تشعر بأن قدميها لم تعد قادرة على حملها ، لكنها تضغط لتقلب ، فإذا بأخرى ثم أخرى ثم أخرى ...

لم تستطع أن تتمالك نفسها ، فبدأت فى البكاء ..

التقطت الكارت ثم ذهبت إلى الحمام ، ألقته به فى المرحاض ومن ثم جذبت الذراع لينهمر الماء ومعه الكارت ..

تنظر فى المرآة ، وكأنها تشاهد ماحدث معها ، تستعيد كل ماسمعت من كلام ، لقد كان كاذبًا .. لقد خدعها ، وبكل تأكيد خدع مثلها الكثير ..

تمسح الدموع وتعود إلى مكانها فى مكتبها ، تلتقط الهاتف الخلوى ، وتطلبه .. لتذهب إليه فى شقته ، لكنه لا يرد كالعادة ، فتحت الدرج الخاص بها وعبثت بداخله فلم تجد شيئًا ، نهضت ، واتجهت إلى (الكانتين) حيث عم (على) ، الذى لم يكن متواجدًا هناك ، تسللت إلى الداخل ، وأخذت تعبث

هنا وهناك بحثًا عن أى شىء يصلح لما تود فعله .. تفتح الأدراج كلها فى سرعة ، ثم تغلقها ثم .. وقعت عينيها على ذلك السكين ، التقطته ، فى خفه ، ودسته بين طيات ملابسها ثم دلفت الخارج ..

عادت إلى مكتبها وهى تبتسم ، تفكر فيما سوف تفعله ثم تبتسم ..

أخرجت السكين من ملابسها دون أن يراها أحد ، ثم وضعته فى حقيبتها ، وأغلقتها ثم نهضت منصرفة ..

على باب الشركة شعرت بأن هناك من يمسك بها من كتفها ويضيف :

إلى أين ؟

استدارت بعد أن وثبت مترين فى الهواء ، وأطلقت صرخة لا بأس بها ..

لتجد نشوى ..

ماذا هنالك ؟ إلى أين ؟

هناك ...

الشقة ؟

نعم ... لا .. لا ..

آه وألا .. لا

لا .. لا .. ذاهبة إلىّ .. لدىّ مشوار خاص ..

قالتها ثم انصرفت من أمامها وانصرفت من الشركة تمامًا ..

أشارت إلى سيارة أجرة ، فتوقف السائق ،

العمرانية .

اركبى ..

* * *

أخذت السيارة تنهب شوارع القاهرة باحثة عن العمرانية .. وفى رأسها مائة سيناريو يدور .. إلى أن ..

حمدًا لله على السلامة يا هانم ..

انتبهت لكلام السائق ، وإلى السيارة التى توقفت ..

عبثت فى حقيبتها باحثة عن بعض الأوراق المالية ثم ناولته الأجرة ، والتفت إلى الخارج ، راكضة نحو العمارة التى بها شقته !

* * *

أخذت تثب على الدرج صاعدة إلى الشقة، توقفت أمامها فتحت حقيبتها ، لتأكد من وجود المسكين بداخلها كما وضعتها ، ثم مسحت دموعها وأخذت تطرق الباب منتظرة أن يفتحه ..

سمعت صوته يأتى من الداخل ، ارتعدت أوصالها بالكامل ، عندما انفتح الباب وظهر أمامها ، ارتبك هو قليلاً ثم التقطها بين أحضانه من دون مقدمات ثم قبّلها على خدها ، فى هذه اللحظات كانت هى قد أخرجت السكين ، ومن ثم ودون تردد غمسته فى بطنه ، لم تشفع له نظراته المتسائلة .. فقط أخرجته ثم غمسته مرة أخرى ، ثم أخرى ، وبدأت تنهال عليه طعنًا !

وأخذت الدموع تنهمر من عينيها ...

ثم توقفت للحظة عادت فيها إلى صوابها ، لترى (خيرى) الذى أحبته ، وحلمت به زوج المستقبل ملقى على الأرض بلا حراك وسط بقعة كبيرة من الدماء ، التى أخذت تتسع من حوله ..

ألقت السكين من يديها ، وبدت كالمجنونة ، ما الذى فعلته ؟.. بل السؤال الأهم ما الذى سوف تفعله ؟

سوف يلقون القبض عليها، وينفذون بها حكم الإعدام .. سوف تهرب .. وعائلتها ؟ ما الذى سوف تقوله لهم عندما تنتفخ بطنها وتظهر عليها علامات سوءتها ؟!

احتشدت وتزاحمت الأفكار فى رأسها ..

التفتت يمينًا ويسارًا باحثة عن لا شيء .. عندها وقعت عيناها على النافذة .. هذا هو الحل الأمثل سوف تنهى حياتها بيديها .. التى انتهت منذ قررت أن تحبه .. بل منذ أن ضعفت ، وأسلمت نفسها إليه ، وذهبت معه إلى شقته ..

فهى إن عاشت سوف تموت مائة مرة .. أما الآن فسوف تموت مرة واحدة..

(بيدى لا بيد عمرو) .... هكذا كان قرارها ، وهكذا ركضت ناحية النافذة، وصعدت بخفة ، ثم .. ثم وثبت إلى أسفل لتصبح بعدها جثة هامدة..

* * *

شوكت

بلا أى أمل أخذ يرمق الطريق عبر نافذة (الميكروباص) .. وهو يمر من أمامه فى سرعة صنعها السائق .. ثم يحرك رأسه فى أسى ويطلق بعض السباب البذىء فى سره ، ويعود مرة أخرى ليرمق الطريق من النافذة ..

بيوت .. محلات .. ثم بيوت ... يمر ذلك من أمامه صانعًا شاشة عرض خاصة به .. يتذكر حالة الذى صار إليه فى سرعة قياسية ، يتذكر كيف تخلت شركته عنه بلا أية مقدمات ، يتذكر ابنتيه اللتين لم يتعدّ عمر الواحدة منهن الخمس سنوات ، وكيف سيصرف عليهن ، بل والأهم كيف سيدفع الأجرة الخاصة بشقته ؟!

يتنهد فى استسلام ثم يعود للمرة المائة ليرمق الطريق ..

يتذكر حواره مع صديقه (مسعد) ...

ـ لقد أخبرتك مرارًا ، وسأعيدها مرة أخرى .. هذا هو الحل الوحيد لدينا .

يصمت فيضيف هو رافضًا :

ـ لن أفعل هذا مهما حدث فهذا كفر بين .

ـ إذًا ستظل هكذا وسوف تموت من الجوع أنت وبناتك .

ينظر إليه ثم يضيف مفسرًا :

- لا أريد دماء يا (مسعد) فقط أريد الانتقام من تلك الشركة وصاحبها ، لأنهم ألقوا بى فى الشارع بعد ذلك العمر الذى أفنيته فيها ولاجله .

- وفى النهاية ألقوا بك فى الشارع ، ولا تجد ما تأكله .

- نعم لذا أريد الانتقام ، لكننى لا أريد دمًا . أريد الأموال فقط كل ما لديه وبها من أموال آخذها أنا وأنت ونقتسمها سويًا .

- إذًا لن نجد سواه .. صدقنى الشيخ نعمة الله هو من سيأتى لنا بالحل .

- لكن يامسعد ..

- كفر .. وما تريد فعله أليس حرامًا .. وما فعلوه فيك وفى بناتك ، أليس حرامًا ؟ صدقنى لن نحضر عفريتًا أو نفعل عملاً فقط هى المشورة . صدقنى وان لم تقتنع لا تأخذ بحديثه .

- حسنًا . متى ؟

- غدًا نهارًا .. نأخذ المترو إلى حيث السيدة زينب ، هو يقطن هناك .

- حسنًا ، لكن .

- لا يوجد لكن هو يعرفنى جيدًا فلن يأخذ منا مالاً . غدًا فى التاسعة سأمر عليك أنت وبناتك ...

قاطعه قائلاً :

- لا .. بناتى لا .. سوف أتركهم هنا مع جارتنا امرأة خلوق سوف ترعاهم .

* * *

يتنهد مرة أخرى ثم يتذكر ما حدث مع الشيخ نعمة الله .....

ـ وهكذا يا شيخ فنحن نريد الانتقام .

نظر الرجل إلى سقف الحجرة وكأنه يبحث عن شيء ما ، ثم أخرج بعض حبات البخور من كيس بلاستيكى ، ونثرها على الفحم المشتعل أمامه صانعًا دخانًا أبيض كثيفًا ، كى يجعل الجو (عفاريتى) أكثر ..

ثم أخذ يتمتم بكلمات غير مسموعة ، وأخرج من مكان ما ورقة صفراء مطوية ، ناولها إلى (شوكت) ، الذى نظر إليه غير فاهم ، ثم تناولها منه بحذر ، وبتردد قال :

ـ ما هذه يا شيخ .... ؟ نظر إلى (مسعد) ، الذى همس :

ـ نعمة الله ..

ـ ما هذه يا شيخ نعمة الله ؟

أعادها عليه ، فأجابه الرجل بتؤدة :

www.riwaya.ga

ـ الحل ..

ـ حل ماذا ؟

ـ حل مشكلتك !

نظر (مسعد) إليه ، وتناول الورقة من (شوكت) وبدأ يفتحها وأخذ يقرأ ما حوته :

ـ أربعة شارع الشيخ مرزوق .. مصر القديمة ..

انتهى من القراءة ، وأضاف سائلاً :

- أى حل ولامؤاخذة ؟ .. هذا عنوان !!

تنهد الرجل بنفاد صبر وأضاف :

- الحل ستجده فى برميل قديم فى ذلك العنوان !

نظر (شوكت) إلى (مسعد) فى نظرة ذات معنى ، فنهض الاثنان بلا كلمة واحدة ثم انصرفوا ..

www.riwaya.ga

- مانا ستفعل ؟

قالها (مسعد) وهو يضيف :

- فى رأيى أن نذهب إلى ذلك العنوان ولن نخسر شيئا ..

مط (شوكت) شفتيه إلى أسفل ، ثم أماء له برأسه معربا عن موافقته ..

وبالفعل ذهب الاثنان إلى ذلك العنوان .. حتى وجداه ..

كان أقرب إلى خرائب !! .. توغلا داخلها بحثا عن البرميل حتى وجداه .. لم يكن هناك غيره .. كان صدئا للغاية ، بدون غطاء ، نظرا بداخله ، فلم يجدا سوى ورقة من الحجم الكبير ، تشبه ورق الجرائد .. مطوية فمد (مسعد) يديه داخله والتقطها ..

ثم نظر إلى (شوكت) وأضاف :

- بكل تأكيد هنا

نظر إليه قائلاً :

ـ لا أعلم فقط افتح الورقة واقرأها .

أمسك (مسعد) الورقة بكلتا يديه ، وفتحها عن آخرها بعد أن وضعها على الأرض ، وبدأ الاثنان فى فحصها ..

ـ أعتقد أن هذه مداخل ومخارج الشركة التى كنت أعمل بها .

أجابه (مسعد) وهو يقلب الورقة :

ـ انتظر هنالك تفسير لتلك الخريطة فى الظهر انظر ..

ـ حقًا ؟

ـ ها هو .. ممم ... إنه يقول إن هذه الخريطة .. مم .. كما قلت بها مداخل ومخارج الشركة .

يقرأ باقى الورقة ، وينظر إليه ثم يضيف منبهرًا بما فيها :

ـ إنه يشرح بها كيف ننتقم دون نقطة دماء ، وكيف نحصل على الأموال كلها دون أن يشك فينا أحد .. هذا عمل شيطانى بالفعل .

يصمت ثم يضيف :

ـ لكنه اشترط شرطًا واحدًا .

www.riwaya.ga

ـ ما هو ؟

ـ نسير على تلك الخطوات التى خطها بحذافيرها .. وإلا .

ـ وإلا ماذا ؟

ـ سنكون نقضنا العهد !!

ـ أى عهد ؟

ـ لا أعلم لكنه مكتوب هنا وهذه هى الخطوات مكتوبة بالأسطل بخط صغير..

قال (مسعد) هذه الأخيرة وهو ، يناول الورقة إلى (شوكت) كى يرى ما بها ..

* * *

لتحميل المزيد من الروايات الحصرية
زوروا موقعنا
www.riwaya.ga

خاتمة مؤقتة

لم ولن تنتهى قصتنا عند ذلك الحد ، فهنالك ما سنحكيه يومًا من الأيام .

لكن لن أعدكم بأن ذلك فى العدد القادم .

لمزيد من الروايات الحصرية

زوروا موقعنا

www.riwaya.ga

إيميل

affekry@gmail.com

فيس بوك

mr.fekry_lawyer@yahoo.com

رقم الإيداع، 27511 / 2016

4 | روايات مصرية

ميتا فيزيقا

أحمد فكري

شقة مسكونة

حديثنا اليوم
عن شقة ، هذه الشقة مسكونة !!
حسنًا .. لا بأس بذلك كبداية أبدًا .

www.riwaya.ga

19/1/011
www.rewayatmasreya.com
facebook.com/rewayatmasreya
الخط الساخن
19350
العربية للدراسات والنشر
08044004